السبت 12 تشرين الثاني 2022
العدد 4776 السنة السابعة عشرة
Samedi 12 Novembre 2022 nº 4776 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

خليل حاوي
«لعازر» الشعر اللبناني

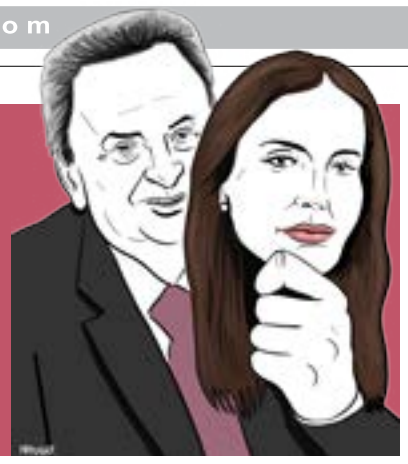

«دكانة رياض»

3 ـ 2

14 مليون يورو ثروة مساعِدة سلامة
شقق في باريس ولبنان وشركات في بيروت ولندن

نصرالله: لا رئيسَ معادياً للمقاومة [4]

التواصل المباشر بين الحكومة السعودية وحكومة «الإنقاذ» لم ينقطع منذ لحظة الإعلان عن انتهاء الفترة الأخيرة من الهدنة في الثاني من تشرين الأول الفائت (أ ف ب)

صنعاء - الرياض
وقائع مفاوضات مباشرة

[8 ـ 9]

البلاد

ونقاوم

من «الكف الأسود» إلى «عرين الأُسود»

[12]

تحت الاحتلال

هكذا استحال «الحارس الجديد» أخطبوطاً في الـ48

[14]

أحوال غزة

المهاجرون من القطاع: آمال تنتهي غرقاً أو خطفاً

[15]

قضية

«دكانة رياض»

14 مليون يورو ثروة مساعِدة سلامة
شقق في باريس ولبنان وشركات في بيروت ولندن

في 2005، التحقت ماريان الحويك بمصرف لبنان مقابل راتب شهري يبلغ ثلاثة ملايين ليرة، تدرّج صعوداً ليبلغ 10 ملايين ليرة عام 2010، ثم 13 مليون ليرة عام 2015، فـ 18 مليوناً عام 2020. «مسيرة نجاح»، عبر 15 عاماً، تمكّنت خلالها الموظفة النشيطة من تملّك شقة في باريس، وأخرى في الأشرفية، وثالثة في الرابية، وشركة مطاعم في لندن، وشركة لتطوير العملات الرقمية، و800 ألف دولار في حساب في سويسرا... وثروة تقدّر بـ 14 مليون يورو. ليس فقط في روايات الأطفال، تتحوّل الفتاة الفقيرة إلى صاحبة ثروة عندما تجد «سمكة ذهبية». يحدث ذلك، أيضاً، في «دكانة»، في أول شارع الحمرا، مقابل وزارة السياحة، تُسمّى «مصرف لبنان المركزي» لـ«صاحبه» رياض سلامة!

وفيق قانصوه

في كانون الأول 2021، طلب المدّعي العام في سويسرا مساعدة قانونية من السلطات اللبنانية للتحقيق في الاشتباه في قيام حاكم مصرف لبنان رياض سلامة وشقيقه رجا سلامة بعمليات غسل أموال واختلاس. الطلب جاء بعد اعتبار السلطات السويسرية الأخوين سلامة «مُشتبهاً بهما» في إجراء تحويلات مصرفية يصل مجموعها إلى نحو 400 مليون دولار. في هذا الطلب، كما في الملفات القضائية المفتوحة ضدّ سلامة في بريطانيا وفرنسا، حيث يُشتبه فيه بتبييض الأموال واختلاسها، برد اسم مساعدته ماريان الحوَيك، التي أشارت تحقيقات للشرطة الفرنسية، اطّلعت عليها «الأخبار»، إلى أن ثروتها الشخصية كانت تقدّر عام 2011 (أي بعد ست سنوات من التحاقها بالمصرف) بـ 14 مليون يورو. ووفقاً لمستندات قدمتها الحويك إلى مصرف Richelieu في موناكو (يملكه أنطون الصحناوي) لدى فتحها حسابين (رقماهما 21419 و21414) في 12 تشرين الأول 2011، فقد برّرت هذه الثروة بأنها متأتية من أكثر من راتب تتقاضاه ومن إرث آل اليها.

الحويك المولودة عام 1980 تشغل، بحسب مذكرة رسمية أصدرها سلامة في نيسان 2020، منصب «مستشارة تنفيذية ممتازة» للحاكم (Senior Executive Advisor) «لمدة سنة قابلة للتجديد، نظراً إلى الخبرة التقنية الواسعة التي تتمتع بها، بهدف وضع الدراسات والإشراف وملاحقة أي ملف أو مشروع يراه الحاكم مناسباً».

إثر «اختراع» سلامة هذا المنصب لها، ضجّت مواقع التواصل الاجتماعي وبعض وسائل الاعلام بـ«خبريات» عن أن دخلها من عملها في مصرف لبنان بلغ في 10 أشهر فقط من العام 2014 أكثر من مليار و300 مليون ليرة، ما دفعها إلى إصدار بيان فنّدت فيه هذه «المغالطات»، مؤكّدة أنها لا تتقاضى أي بدل مادي لقاء منصبها الاستشاري الجديد، وأنها تقدّمت بطلب استيداع (إجازة من دون راتب) منذ عام 2017، وكان راتبها لا يتجاوز 12 مليون ليرة، «ومنذ ذلك الوقت لم أتقاضَ أي أجر. وهذا الراتب هو الراتب الذي تنص عليه السلسلة المعتمدة للمديرين التنفيذيين في مصرف لبنان. (...) والمبالغ الوحيدة التي حصلت عليها هي قرض سكني لشراء شقة سكنية عام 2013 كسائر القروض التي يستفيد منها جميع موظفي المصرف وقرض شخصي عام 2018».

أنهت الحويك بيانها بعبارة «... وبالتالي هذه هي كل استفادتي المادية من المصرف، ويمكن لمن شاء التأكد من الأمر فهو غير مخفي». والمخفي الذي لم تشر إليه، لكنها أدلت به أمام المحامي العام المالي جان طنوس، لدى الاستماع إلى إفادتها في أيار عام 2021، يؤكد أن هذه ليست «كل استفادتها المادية من المصرف». فعلى سبيل المثال، اعترفت الحويك بأنها «اتفقت مع حاكم مصرف لبنان» على بدل أتعاب يبدأ بـ 80 ألف دولار سنوياً مقابل عملها في مشروع لدعم اقتصاد المعرفة والشركات الناشئة، وهو ما يُعرف بالاقتصاد الرقمي»، وأن بدل الأتعاب هذا كان «يسدّد في سويسرا» من «الحساب الشخصي للحاكم»، وأن مجموع ما حصّلته من عملها هذا خلال ست سنوات وصل إلى 800 ألف دولار في حسابها الذي جمّده القضاء السويسري. وهذا ما أكّده سلامة نفسه أيضاً في إفادته أمام القاضي طنوس، إذ أقرّ بأن الحويك «أقدمت على تنفيذ عدد من المشاريع تتعلق بالاقتصاد الرقمي»، وأنه «رغب في تسديد قيمة هذه المشاريع من جيبه الخاص، فطلب من شقيقه رجا تسديد مبالغ مالية للحويك على أربع أو خمس دفعات بقيمة 500 ألف أو 600 ألف دولار لكل دفعة»!

تثير الإفادتان عدداً من الأسئلة:

- ما هو سبب التناقض في الأرقام بين 800 ألف دولار (ادّعت الحويك أنها تقاضتها) وبين «أربع أو خمس دفعات قيمة كل منها بين 500 أو 600 ألف دولار» بحسب إفادة الحاكم؟

- كيف يمكن لحاكم المصرف المركزي، وهو مرفق عام، أن يتفق مع موظفة لديه، من دون أي عقد في حال كان يحق له ذلك، بأن يدفع لها أتعاباً «برّانية» بالعملة الأجنبية لقاء مشروع يتعلق بالمرفق العام نفسه؟

- أليس مثيراً للريبة والشك دفع المبلغ في حساب سويسري؟

- أي سخاء هذا الذي دفع سلامة إلى أن يطلب من شقيقه تسديد أتعاب الحويك من ماله الخاص، أم أن هناك أعمالاً أخرى غير منظورة تقوم بها الموظفة المحظية كواجهة لرئيسها؟

شقق وشركات

في 2005، بدأت الحويك عملها في مصرف لبنان براتب شهري يبلغ ثلاثة ملايين ليرة، ارتفع إلى 10 ملايين ليرة عام 2010، ثم 13 مليوناً عام 2015، فـ 18 مليوناً عام 2020.

12 عاماً فصلت بين التحاق الحويك بالمصرف عام 2005 وبين تقدّمها بطلب الاستيداع عام 2017، تقاضت خلالها رواتب 216 شهراً (سنة موظفي المركزي 18 شهراً)، لا يكفي مجموعها - مع افتراض أنها لن تصرف قرشاً واحداً منها - ثمناً لشقة تملّكتها في باريس عام 2013، بعد ثماني سنوات فقط من التحاقها بالعمل في مصرف لبنان!

في إفادتها، قالت الحويك إن الشقة الباريسية «اشتراها لها والدها عام 2008 بمليون و600 ألف يورو»، مشيرة إلى أنها «لا تذكر اسم البائع أو كيفية تسديد الثمن». وأضافت إن الشقة كانت حصتها من ضمن خطة توزيع الميراث بينها وبين أشقائها، فكانت حصة شقيقتها شقة في بيروت بقيمة مليون و200 ألف دولار، فيما نال أشقاؤها أسهم الشركات العائدة لوالدها.

وإلى شقّة باريس، أفادت «الموظفة النشيطة» بأنها اشترت أيضاً شقة في منطقة الأشرفية في بيروت بقيمة 700 ألف دولار بموجب قرض من مصرف لبنان عام 2013 أيضاً، وأن زوجها اليوناني ألكسندر أندريانوبولوس «اشترى لها شقة في منطقة الرابية بمليون و200 ألف دولار أو مليون و500 ألف دولار» و«على الأرجح أن زوجها حوّل ثمن الشقة من حسابه في المملكة المتحدة»، كما سدّد كلفة أشغال الديكور التي بلغت 200 ألف دولار. كما أفادت بأنها كانت تملك حصة قيمتها 30% من شركة Lemonthree التي تعمل في مجال المطاعم في المملكة المتحدة، وتدير مطعماً في واحد من أفخم شوارع لندن، وأن حصتها زادت إلى 50% بعد خروج شريك يعمل في مجال الصناعة الفندقية، مشيرة إلى أن زوجها سدّد ثمن حصة الشريك البالغة 100 ألف جنيه استرليني.

بين موجودات Lemonthree شقة في لندن تقدر قيمتها بمليون و300 ألف جنيه استرليني ومطعم فخم (Onima) تقدر قيمته بمليون ونصف مليون جنيه استرليني. كذلك تملك الحويك شركة «رايز انفست» التي أسست في بنما عام 2011، ويُعتقد بحسب الوثائق التي سُرّبت في ملف «أوراق بنما» أنها تعود لرياض سلامة نفسه. إذ تؤكد الوثائق أن الحويك هي المساهم الوحيد في الشركة التي صُمّمت لتكون «سرية»، وأصدرت الشركة أسهماً لحاملها، وهي نوع من ضمانات الأسهم الخاصة التي تسمح للمالك بالبقاء مجهول الهوية. وتظهر الوثائق الإبلاغ عن «فقدان أو تدمير» أسهم «رايز إنفست» لحاملها عام 2015، وإصدار شهادات أسهم جديدة باسم الحويك (https://daraj.com/51831/).

هنا يمكن تسجيل الآتي:

- في محضر اطّلعت عليه «الأخبار» نظّمه المكتب المركزي لمكافحة الجرائم المالية الكبرى في فرنسا (تابع للشرطة الفرنسية) في آب 2021 حول علاقة الحويك بجرم تبييض الأموال المنصوص عنه في قانون العقوبات الفرنسي، يتبيّن أن ذاكرة الحويك «خانتها»، أثناء إدلائها بإفادتها، في ثلاثة مواضع لا يسهل على أي كان (خصوصاً إذا كان مصرفياً) نسيانها: أولاً، أنها تملّكت شقتها الباريسية بموجب عقد بيع بتاريخ 26 حزيران 2013 وليس في 2008؛ وثانياً، أن عقد البيع الذي نظّمه محام فرنسي تمّ بوجود محام عن البائع و«في حضور الشاري مدام مريان حويك، الموظفة في مصرف لبنان»، لا في وجود والدها، وثالثاً، أن ما دفعته ثمناً للشقة كان مليوناً و800 ألف يورو وليس مليوناً و600 ألف يورو. كما يفيد المحضر بامتلاكها ثلاثة حسابات مصرفية في فرع مصرف «بي آن بي باريبا» في شارع الشانزيليزيه في العاصمة الفرنسية.

- في ما يتعلق بشقة الأشرفية، قالت الحويك في إفادتها إنها اشترتها عام 2013 عندما كان راتبها يساوي 13 مليون ليرة بقرض قيمته 700 ألف دولار من مصرف لبنان. ومن الواضح أن هذا الراتب لا يؤهلها على الأرجح للحصول على مبلغ ضخم كهذا، فضلاً عن أن سقف القروض المدعومة في تلك الفترة لم يكن يتجاوز الـ 800 مليون ليرة، وإن كان موظفو «المركزي» يتمتعون بمزايا إضافية في هذا المجال.

- في ما يتعلّق بشقة الرابية ومطعم لندن اللذين زعمت الحويك أن زوجها سدّد ثمنهما، أكّد سلامة في إفادته أمام القاضي المحقق أنه «ليس لمصرف لبنان علاقة بتمويل شراء شقة ماريان الحويك في الرابية، وأنه هو شخصياً قدّم ضمانته الشخصية كي تحصل ماريان وخطيبها (آنذاك) على قرض جرى استعمال جزء منه لشراء شقة في الرابية وجزء لتمويل شراء مطعم في لندن». ولدى مواجهته بأن الخبير الذي فاوض لشراء شقة الرابية أبلغ البائع بأنه من مصرف لبنان، قال سلامة إن الخبير «ربما قصد أنه معتمد من المصرف ولكنه ليس مرسلاً منه».

أسئلة كثيرة تثار هنا: كيف «نسيت» الحويك أنها استدانت مبلغاً ضخماً من المال لشراء شقة في الرابية ومطعم في لندن لتنسب الأمر إلى زوجها؟ ما هي المصادفة التي جعلت خبيراً معتمداً لدى مصرف لبنان يفاوض على شراء الشقة؟ هل تكفي الـ 13 مليون ليرة شهرياً التي كانت تتقاضاها لتسديد قرض لمصرف لبنان بقيمة 700 ألف دولار، وقرض آخر لشقة الرابية ومطعم لندن بما يفوق المليوني دولار؟ وما هي الأعمال التي تقوم بها لمصلحة سلامة إلى حد يجعله يستخدم نفوذه للتوسط من أجل إعطائها قرضاً ضخماً بـ«ضمانته الشخصية»؟

تعاقدات «من الباطن»

عام 2018، أسست الحويك شركة «كلاود إكس» (CloudX) التي تولّت تنظيم المؤتمر الدولي السنوي الذي يعقده مصرف لبنان حول الشركات الناشئة. لن نتوقف كثيراً عند تضارب المصالح في تكليف مؤسسة خاصة تملكها موظفة في مصرف لبنان لعقد مؤتمر للمصرف الذي تعمل فيه. كما لن نتوقف عند ما قالته في إفادتها بأنها «لم تبلغ الحاكم بتأسيس الشركة لأنها كانت في الاستيداع». في الإفادة نفسها، تؤكد الحويك أن «كلاود إكس» (التي لم يعرف بها الحاكم؟)، كُلّفت من مصرف لبنان «ومن دون عقد خطي» بمشروع لتطوير تكنولوجيا العملات الرقمية. عملت الشركة على المشروع مع شركة «فوو» (FOO SAL) المتخصصة بالأنظمة المعلوماتية والتطبيقات. بين 2019 و2020، في عزّ انفجار الفقاعة المالية والنقدية والاقتصادية في لبنان، تعاقدت «كلاود إكس» مع «فوو» أيضاً لإطلاق «منصّة صيرفة» ومنصة استيراد المعدات الطبية والأدوية. لم تحصل «فوو» على أي من هذه المشاريع عبر فوزها بمناقصات، فيما كان ممثل مصرف لبنان الدائم في هذه المشاريع: ماريان الحويك (https://al-akhbar.com/Politics/306368).

رغم انخراطها في كل هذه المشاريع، والأدوار التي أعطاها إياها سلامة، «وصدور مذكرة من مصرف لبنان بتعيينها مستشارة في كل المشاريع الرقمية» بقيت الحويك خارج دائرة الخضوع لأي سلطة في المصرف باستثناء الحاكم، ما أبقاها خارج أي مساءلة. في إفادتها، تؤكد أن عملها في مصرف لبنان «لا يتضمن أي علاقة بالمجلس المركزي للمصرف»، فيما يشير سلامة في إفادته إلى أنها «أقدمت على تنفيذ بعض المشاريع التي يستفيد منها مصرف لبنان وأنه يسدّد قيمة هذه المشاريع من جيبه الخاص»! أما الأهم فهو أن شركتَي «ديلويت اند توش» و«ارنست اند يونغ» اللتين استقدمهما الحاكم للتدقيق في ملفات مصرف لبنان «لم تتوجّها إليها بأي سؤال حول أعمال المحاسبة في المشاريع التي عملت عليها». وهي لم تصرّح عن ذمتها المالية إلا مرة واحدة في بداية عملها في المصرف عام 2005، ولم تكرر الأمر «لأن أحداً لم يطلب مني ذلك». كما أنها لم تصرّح عن ذمتها المالية بعد إقرار قانون الإثراء غير المشروع عام 2020 «لأنني كنت في الاستيداع منذ ثلاث سنوات».

في رواية «رياض ومساعدته ماريان» مفارقات عصيّة على الفهم، فضلاً عن التصديق من خلط المال العام بالخاص. حاكم مصرف مركزي يتعامل مع مؤسسة على هذا القدر من الأهمية والتأثير في حياة اللبنانيين بعقلية «الدكنجي» الذي يفتح «جاروره» لـ«يقبّض» هذا و«يقبّض» من ذاك. ومساعدة تُعيّن مستشارة لمشاريع المصرف من دون عقد ومن دون علم المجلس المركزي؛ تتقاضى راتبها من خارج «الدفتر»، فيما هي في الاستيداع؛ يتجاهلها المدقّقون رغم إشرافها على مشاريع على جانب كبير من الأهمية («صيرفة»، مثلاً). بصماتها في كل مكان، لكن لا أثر لها. رغم كل هذا الحضور الطاغي، تبدو الحويك - بدفع من قوة ما - أشبه بشبح يعمل لدى «صاحب المصرف» الذي يصرّ على إبقائها في الظل، وعلى البقاء في ظلها.

لم تسأل شركتا التدقيق اللتان استقدمهما سلامة عن المشاريع التي تعمل عليها الحويك

سلّم سلامة الحويك إدارة مشاريع في المصرف المركزي من دون عقود براتب يُدفع في الخارج

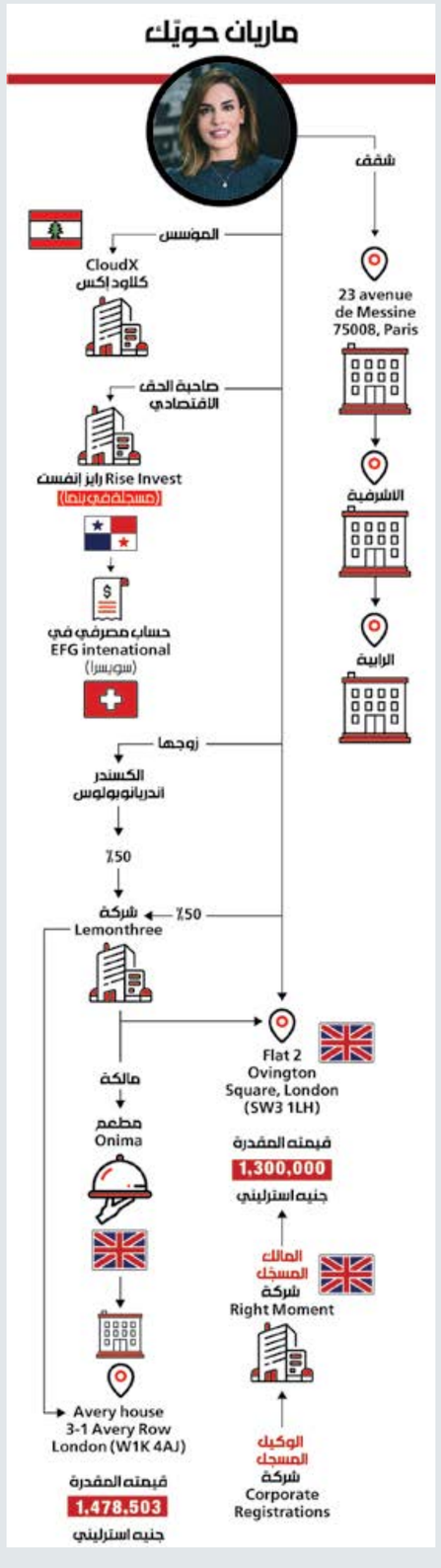

قضية اليوم

نصرالله يحدد مواصفات الرئيس: لا يخاف ولا يُشترى ولا يطعن المقاومة

(هيثم الموسوي)

وضع الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله أمس حداً لمرشحي «تقطيع الوقت»، مؤكداً «أننا نريد رئيساً للجمهورية في أسرع وقت ممكن، لكن هذا لا يعني أن نسد الفراغ في هذا الموقع الحساس بأي كان». وحدّد بعض المواصفات التي يجب أن تتوافر في الرئيس المقبل، وهي أن يكون «مطمئناً للمقاومة، لا يخاف من الأميركيين ويقدم المصلحة الوطنية على خوفه، ولا يبـاع ولا يشترى»، مشدداً على «أننا لا نريد رئيساً يغطي المقاومة أو يحميها لأنها لا تحتاج إلى ذلك، إنما رئيس لا يطعنها في الظهر».

وفي كلمة له في الاحتفال الذي أقامه حزب الله بمناسبة «يوم الشهيد»، قال إنه «مع الرئيس العماد إميل لحود، صنعت المقاومة التحرير عام 2000، وقاتلت بالعسكر والسياسة عام 2006، وكانت مطمئنة أن لا رئيس جمهورية يتآمر عليها ويطعنها في الظهر»، وهي كانت كذلك «مع الرئيس ميشال عون، آمنة على مدى ست سنوات وكانت عاملاً حاسماً في إنجاز ملف ترسيم الحدود البحرية لأنه كان في بعبدا رجل شجاع لا يبيع ولا يشتري ولا يخون ولا يطعن»، مؤكداً «أننا يجب أن نبحث عن رئيس جمهورية بهذه المواصفات»، و«على اللبنانيين أن يعملوا ويناضلوا للوصول إلى الخيار الأنسب»، مشيراً إلى أن «هذا الموقع له علاقة بعناصر القوة، وهذا موضوع استراتيجي يرتبط بقوة لبنان وبالأمن القومي، والمقاومة هي أحد عناصر القوة الأساسية». وتوجه إلى الفريق الآخر بأنه «عندما تطلبون منا أن ننتخب فلاناً، وهو من أول الطريق يناقشنا بالمقاومة، وشدّد نصرالله على أن «الإدارة الأميركية هي من يمنع المساعدة عن لبنان»، واصفاً إياها بـ«الطاعون واللعنة والوباء الذي تخرجه من الباب فيعود من الطاقة إذ لا حدود لأطماعه وأهدافه». ونبّه إلى أن «الأميركيين يعتقدون أن سيناريو الفوضى يُمكن أن يؤدي إلى إنهاء المقاومة، وهم يتحدثون علناً عن دعمهم للجيش بهدف أن يكون في مواجهة المقاومة. لكن الجيش، قيادة وضباطاً ورتباء وجنوداً، كلهم يرفضون هذا الموقف بالمطلق»، وفي ظل التدخل الأميركي «يحق لنا نحن كجزء كبير من الشعب أن نطالب برئيس للجمهورية مُطمئن لهذه المقاومة».

> موقع الرئاسة يتعلق بالأمن القومي ولا يمكن ان نسد الفراغ باي كان

لحود، صنعت المقاومة التحرير عام 2000، وقاتلت بالعسكر والسياسة عام 2006، وكانت مطمئنة أن لا رئيس جمهورية يتآمر عليها ويطعنها في الظهر»، وهي كانت كذلك «مع الرئيس ميشال عون، آمنة على مدى ست سنوات وكانت عاملاً حاسماً في إنجاز ملف ترسيم الحدود البحرية لأنه كان في بعبدا رجل شجاع لا يبيع ولا يشتري ولا يخون ولا يطعن»، مؤكداً «أننا يجب أن نبحث عن رئيس جمهورية بهذه المواصفات»، و«على اللبنانيين أن يعملوا ويناضلوا للوصول إلى الخيار الأنسب»، مشيراً إلى أن «هذا الموقع له علاقة بعناصر القوة، وهذا موضوع استراتيجي يرتبط بقوة لبنان وبالأمن القومي، والمقاومة هي أحد عناصر القوة الأساسية». وتوجه إلى الفريق الآخر بأنه «عندما تطلبون منا أن ننتخب فلاناً، وهو من أول الطريق يناقشنا بالمقاومة، وشدّد نصرالله على أن «الإدارة الأميركية هي من يمنع المساعدة عن لبنان»، واصفاً إياها بـ«الطاعون واللعنة والوباء الذي تخرجه من الباب فيعود من الطاقة إذ لا حدود لأطماعه وأهدافه». ونبّه إلى أن «الأميركيين يعتقدون أن سيناريو الفوضى يُمكن أن يؤدي إلى إنهاء المقاومة، وهم يتحدثون علناً عن دعمهم للجيش بهدف أن يكون في مواجهة المقاومة. لكن الجيش، قيادة وضباطاً ورتباء وجنوداً، كلهم يرفضون هذا الموقف بالمطلق»، وفي ظل التدخل الأميركي «يحق لنا نحن كجزء كبير من الشعب أن نطالب برئيس للجمهورية مُطمئن لهذه المقاومة».

> موقع الرئاسة يتعلق بالأمن القومي ولا يمكن ان نسد الفراغ باي كان

تقرير

موقف باسيل نهائيّ: لا مجال للبحث في دعم فرنجية

أسباب كثيرة، سياسية واقتصادية، عامة وخاصة، بالمصرف والجملة، تدفع رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل إلى حسم أمره، بشكل نهائي، في رفض ترشيح رئيس تيار المردة سليمان فرنجية إلى رئاسة الجمهورية، من دون إفساح أي مجال للمناورة أو المفاوضة أو المقايضة

غسان سعود

بين رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل ورئيس تيار المردة سليمان فرنجية حساسية شمالية سيتجنّب المعنيون ذكرها، بعضهم لعدم فهمها، والبعض الآخر لمعرفته بأنها عصيّة على المعالجة. كما لن يؤتى على ذكر الحسابات العونية التي ترى أن أي رئيس سيكون أقل ضرراً على التيار من فرنجية، خصوصاً إذا كان من بين المرشحين الذين لا يملكون أصولاً في «الدولة العميقة»، وليس له شركاء أساسيون ينتظرونه على أحرّ من الجمر، وبيوتات سياسية متأهبة لملاقاته في منتصف الطريق. وهناك، أيضاً، المشكلة القائمة داخل الفريق الواحد منذ عام 2009، والتي لم يأبه أحد بها حين كان عهد الرئيس ميشال عون يدفع الثمن باهظاً على مذبح مناكفاتها.

وهناك، طبعاً، ما يحبّ خصوم باسيل وصفه بأنه «مشكلة شخصية»، في بلد تُعد المشاكل الشخصية عاملاً أساسيّاً في تكوينه ومساراته، قبل فرنجية وباسيل وبعدهما. علماً أن «المشكلة الشخصية» الأهم هي بين فرنجية والرأي العام العوني الذي انتقل من الحب الشديد لفرنجية عام 2005 إلى خصومة شديدة، بعد خروجه من التكتل واندفاعه صوب الرئاسة (قبل أن يفرمله حزب الله) وبعد اعتماده السلبية المطلقة طوال سنوات العهد، وعدم حرصه على «الخط» حين كان العهد يتعرض لنيران صديقة ومعادية. والخصومة بين العونيين والمردة تجاوزت المنطق، فلم يعد ميشال معوض وسامي الجميل وفارس سعيد معاً يشكلون سوى جزء صغير من الاستفزاز الذي يمثله فرنجية للعونيين، حتى إن قبول باسيل بانتخاب معوض، على سبيل الافتراض، قد يمر مرور الكرام لدى جمهور التيار، فيما يتعامل هذا الجمهور مع احتمال وصول فرنجية إلى الرئاسة كخسارة جسيمة له.

في كل اللقاءات والاتصالات، العبارة الحاسمة التي يطرحها باسيل هي أن سليمان فرنجية هو مرشح نبيه بري أولاً وأخيراً، وليس لدى رئيس التيار الوطني الحر أي نية لـ«إهداء» رئيس المجلس الرئاسة الأولى ليضمها تحت جناحه إلى الرئاستين الثانية والثالثة، طالما أن استبدال ميقاتي غير وارد في الأمد المنظور. وهو ما تبنى عليه البطريركية المارونية خشيتها المستجدّة من «عودة التروبكا».

برفضه الحاسم، يوصد باسيل أي باب للبحث، مؤكداً أنه لا يناور ولا يحاول تحسين شروطه. وهو حين تصالح مع فرنجية، من دون قيد أو شرط قبل بضعة أشهر، كان يقطع الطريق على الحديث عن «مشكلة شخصية». وبالتالي، هو اليوم متصالح مع فرنجية، ويرى فيه «ابن أصل». لكنه، بكل بساطة، لا يرى فيه في الابتعاد عن أي تملّق مصطنع لباسيل. وهو، على أي حال، واضح في تعويله على حزب الله لإقناع باسيل أو الضغط عليه، ويتصرف بوضوح بأنه لا يريد الرئاسة إذا كان شرط الفوز بها استرضاء رئيس التيار الوطني الحر. حتى إن موقف المردة من مقاطعة جلسات مجلس الوزراء انسجاماً مع الموقف العوني عليه، يبدو باسيل حاسماً في عدم الدخول في أي نقاش حول «تطمينات» و«تعهدات» و«التزامات» و«ضمانات» يمكن أن تُقدم إليه. هذا يمكن أن يحصل في حال كان وارداً أن يسير في ترشيح فرنجية. أمّا وإن الأمر «غير وارد أبداً» بالنسبة إليه، فإن أي نقاش كهذا لن يكون سوى مضيعة للوقت. أما التسريبات غير الصحيحة حول «طلبات باسيلية» لـ «تطمينات» بشأن التعيينات والحصص الوزارية والوقوف في وجه رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع وغيرها، فلا تؤدي سوى إلى توسيع الهوّة بين الرجلين وإفشال أي محاولة لإعادة بناء الثقة بينهما وإساءة إلى كليهما، خصوصاً فرنجية المعروف بجرأته في الابتعاد عن أي مُعيق لطموحاته. وهو، على أي حال، واضح في تعويله على حزب الله لإقناع باسيل أو الضغط عليه، ويتصرف بوضوح بأنه لا يريد الرئاسة إذا كان شرط الفوز بها استرضاء رئيس التيار الوطني الحر. حتى إن موقف المردة من مقاطعة جلسات مجلس الوزراء انسجاماً مع الموقف العوني عليه، يبدو باسيل حاسماً في عدم الدخول في أي نقاش حول «تطمينات» و«تعهدات» و«التزامات» و«ضمانات» يمكن أن تُقدم إليه. هذا يمكن أن يحصل في حال كان وارداً أن يسير في ترشيح فرنجية. أمّا وإن الأمر «غير وارد أبداً» بالنسبة إليه، فإن أي نقاش كهذا لن يكون سوى مضيعة للوقت. أما التسريبات غير الصحيحة حول «طلبات باسيلية» لـ «تطمينات» بشأن التعيينات والحصص الوزارية والوقوف في وجه رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع وغيرها، فلا تؤدي سوى إلى توسيع الهوّة بين الرجلين وإفشال أي محاولة لإعادة بناء الثقة بينهما وإساءة إلى كليهما، خصوصاً فرنجية المعروف بجرأته في الابتعاد عن أي تملّق مصطنع لباسيل. وهو، على أي حال، واضح في تعويله على حزب الله لإقناع باسيل أو الضغط عليه، ويتصرف بوضوح بأنه لا يريد الرئاسة إذا كان شرط الفوز بها استرضاء رئيس التيار الوطني الحر. حتى إن موقف المردة من مقاطعة جلسات مجلس الوزراء انسجاماً مع الموقف العوني عليه، يبدو باسيل حاسماً في عدم الدخول في أي نقاش حول «تطمينات» و«تعهدات» و«التزامات» و«ضمانات» يمكن أن تُقدم إليه. هذا يمكن أن يحصل في حال كان وارداً أن يسير في ترشيح فرنجية. أمّا وإن الأمر «غير وارد أبداً» بالنسبة إليه، فإن أي نقاش كهذا لن يكون سوى مضيعة للوقت. أما التسريبات غير الصحيحة حول «طلبات باسيلية» لـ «تطمينات» بشأن التعيينات والحصص الوزارية والوقوف في وجه رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع وغيرها، فلا تؤدي سوى إلى توسيع الهوّة بين الرجلين وإفشال أي محاولة لإعادة بناء الثقة بينهما وإساءة إلى كليهما، خصوصاً فرنجية المعروف بجرأته في الابتعاد عن أي تملّق مصطنع لباسيل. وهو، على أي حال، واضح في تعويله على حزب الله لإقناع باسيل أو الضغط عليه، ويتصرف بوضوح بأنه لا يريد الرئاسة إذا كان شرط الفوز بها استرضاء رئيس التيار الوطني الحر. حتى إن موقف المردة من مقاطعة جلسات مجلس الوزراء انسجاماً مع الموقف العوني عليه، يبدو باسيل حاسماً في عدم الدخول في أي نقاش حول «تطمينات» و«تعهدات» و«التزامات» و«ضمانات» يمكن أن تُقدم إليه. هذا يمكن أن يحصل في حال كان وارداً أن يسير في ترشيح فرنجية. أمّا وإن الأمر «غير وارد أبداً» بالنسبة إليه، فإن أي نقاش كهذا لن يكون سوى مضيعة للوقت. أما التسريبات غير الصحيحة حول «طلبات باسيلية» لـ «تطمينات» بشأن التعيينات والحصص الوزارية والوقوف في وجه رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع وغيرها، فلا تؤدي سوى إلى توسيع الهوّة بين الرجلين وإفشال أي محاولة لإعادة بناء الثقة بينهما وإساءة إلى كليهما،

في الواجهة

الحسيني بالثلثين حضوراً يُنتخب رئيس الدولة

ليس السجال الدائر حيال المادة 49، في خامسة جلسات انتخاب رئيس الجمهورية الخمس كما في جلسات سبقتها سوى اشتباك كاريكاتوري ومهين في أن في مقاربة مادة أضحت في أوان الانتخابات الرئاسية الأكثر افتعالاً للجدل السياسي منه الدستوري

نقولا ناصيف

مفارقة المادة 49 أن أحداً لم يأتِ على ذكرها في استحقاق 2014 - 2016 بعدما انفجرت للمرة الأولى في استحقاق 2007 - 2008. اما ما قبل ذهاباً الى عام 1926، فلم يُثر سوى فقرتها الثانية (قبل تعديل 1990) المتعلقة بانتخاب موظفي الفئة الاولى متناولة عام 1958 انتخاب قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية، وعام 1976 انتخاب حاكم مصرف لبنان الياس سركيس للمنصب نفسه. كلاهما لم يستقل قبل ستة أشهر من انتخابه تبعاً للفقرة الثانية في المادة 49، فدار لغط عابر انطفأ للفور. اما الفقرة الاولى القديمة (قبل تعديل 1990) فانتظمت الانتخابات الرئاسية حيالها وانتخبت استناداً اليها ثلاثة رؤساء في ظل الانتداب الفرنسي و12 رئيساً بعد الاستقلال. كل من هؤلاء انتخب من الدورة الاولى او الثانية او الثالثة او الرابعة في حضور نصف ثلثي اعضاء مجلس النواب. كان حضور الثلثين على الاقل هو الثابتة المتغيّرة هي اصوات الفوز المترجمة بين الثلثين والغالبية المطلقة.

في الجزء الثاني في كتابه «دستور لبنان» الصادر عام 1970 - دونما ان يتوقع ما سيحدث بعد اكثر من نصف قرن ولا حتماً كان سيتوقع من سيخلف رعيله - يقول الآتي: «في ضوء هذا النص (نصاب الاكثرية المطلقة) قد يحصل امر مستغرب اشد الاستغراب. لو فرضنا ان 50 نائباً حضروا الجلسة فإن النصاب قانوني ويُشرع في عملية الاقتراع. لكن لنفترض ان 40 نائباً وضعوا اوراقاً بيضاً، فيبقى لحسبان الغالبية عشرة اصوات فقط (كون الاوراق البيض لا تدخل في احتساب غالبية اصوات الفوز). فالثلثان في الدورة الاولى اي سبعة اصوات تكفي لانتخاب رئيس للجمهورية، وهذا امر غريب. والغالبية المطلقة اي ستة اصوات تكفي في الدورة الثانية. وهذا امر اكثر غرابة. صحيح ان الامر مستبعد الوقوع، لكن اصول التشريع تستلزم افتراض وقوعه في حالات استثنائية وتدارك هذا الامر بنص سليم (...) لا بد في رأينا من تعديل هذا النص ليأتي منسجماً مع المنطق والمعقول لاسيما في هذا الامر الخطير» (ص: 109 و110).

ما ليس في حسبان انور الخطيب آنذاك ابصار ما صار حقيقة في هذا الآوان، ان تسقط في صندوقة الاقتراع اكثر من 40 ورقة بيضاء غير محسوبة، وفي المرة الاولى في 29 ايلول 63 ورقة بيضاء. مع ان السجال الدستوري التاريخي هذا متناولاً المادة 49 كان في حقبة ما قبل اتفاق الطائف، بيد ان فقرة الية انتخاب الرئيس لا تزال نفسها. مذاك، سواء عُدَّ انتخاب الرؤساء المتعاقبين تبعاً للنص المختلف احياناً على تأويله، او اخذاً بعُرف يُفسّر النص كي يأتي انتخاب رئيس الجمهورية بأوسع تأييد وطني، الا ان التطبيق المستدام للمادة 49 - العصية الفهم كما المواد 73 و74 و75 على الأجيال البرلمانية الوليدة على الاقل في الاستحقاق الحالي - اضحى النص الحقيقي الذي سينتهي مال البرلمان الحالي، كما برلمان 2005 في استحقاق 2007 - 2008، الى التسليم به. لحظتذاك تبدأ اولى عتبات سنّ الرشد.

الرئيس حسين الحسيني، المُفتقد حضوره في مؤتمر الطائف في الذكرى الـ33 والمُفتقد اكثر حضوره في مجلس النواب، بات للمادة 49 عنده مغزى مختلف. للمرّة الاولى في اتفاق الطائف عُدّلت على نحو اساسي منذ عام 1926، رغم تعديلين عابرين لم يمسّا جوهرها عامي 1927 و1929، باضافة فقرة اساسية اليها اقترحها الحسيني وادخلها بنفسه في راس المادة في مسودة الاتفاق التي ناقشها مع البطريرك الماروني الراحل مارنصرالله بطرس صفير ثم ناقشها النواب اللبنانيون في مدينة الطائف.

يقول الحسيني: «حتماً نصاب الثلثين هو نصاب انعقاد جلسة انتخاب رئيس الجمهورية في كل الدورات. ثبات هذا النصاب ناجم عن الفقرة الاولى المحدثة في المادة 49 عندما تتحدث عن رئيس الجمهورية على انه رئيس الدولة ورمز وحدة الوطن يسهر على احترام الدستور، فلا يصح عندئذ انتخابه الا في حضور ثلثي مجلس النواب على الأقل».

يضيف ان المادة 49 الجديدة المعدلة لدى مناقشتها «لم تلقَ اي اعتراض واول تطبيق لها كان في انتخابنا الرئيس رينه معوض، قبل ادماجنا اصلاحات وثيقة الوفاق الوطني في الدستور بعد سنة من اقرارها. انتخبنا الرئيس معوض عملاً بالمادة 49 الجديدة بفقرتها الاولى الناصة على الدور الجديد لرئيس الجمهورية على انه رئيس الدولة الذي يؤمن استمرارية الكيان والمحافظة على النظام. انتخب في ظل غالبية ثلثي المجلس حضوراً رغم تناقص عدد نوابه الى 73 نائباً واصبح نصاب الثلثين آنذاك 49 نائباً. كذلك فعلنا في انتخاب الرئيس الياس هراوي. انتخاب الرئيس في حضور ثلثي المجلس هو المعبّر الفعلي عن الدور الجديد لرئيس الجمهورية ان يكون في موقع سام يمكنه من رد اي فئة عن الاخلال بالدستور والقانون. لم نُرد في المادة 49 انخراط رئيس الجمهورية في اي موقع سوى انه الحكم بين الجميع، لا ان يتدخل يوماً في تعيين نواطير الاحراج».

> حينما افترض انور الخطيب عام 1970 يوماً مآل الاقتراع بـ40 ورقة بيضاء

(هيثم الموسوي)

مفتو العلويين يفتحون أبواب الغضب على ميقاتي

لينا فخر الدين

أثار إصدار رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي، قبل نحو أسبوعين، المرسوم رقم 10850 الرامي إلى تنظيم شؤون الإفتاء الإسلامي العلوي وتحديد ملاكه، ثائرة المشايخ السُنة الذين اعتبروا أنّ تعيين 3 مفتين للطائفة الإسلامية العلوية (بيروت وطرابلس وعكار)، إضافة إلى أمناء للفتوى، «يثير النعرات الطائفيّة والمذهبية» (!) خصوصاً أنّه ما من مفتٍ علوي واحد في سوريا التي لم تتمكّن من فرض مفتٍ علوي في لبنان في عز تأثيرها فيه. وذهب البعض إلى حد «التخوف» من أن يفتح القرار الباب أمام «مطالبة طوائف أخرى بامتياز مماثل»! كما أبدى هؤلاء انزعاجهم من استخدام عبارتي «مفتي» و«أمين فتوى» باعتبارهما «خاصتين بالمسلمين من دون سواهم»، على حد وصف الأستاذ المُحاضر في الشريعة والقانون رأفت ميقاتي. الاستياء، سبّبه أيضاً تعيين مفتٍ علوي في بيروت التي لا يتعدى عدد العلويين فيها الـ500 شخص. «صحيح أنّ تعيين المفتين حق مشروع للطائفة العلوية مهما اختلفت المعتقدات ومن الخطأ أن نقف ضدّه»، بحسب الأستاذ الجامعي الشيخ ناجي سويد، إلا أنه سأل: كيف يُعيّن مفتٍ للعلويين في بيروت في حين أنه ليس لأهل السنة مفت في العاصمة؟».

ولم يُخفِّف البيان التوضيحي الذي أصدره ميقاتي من وقع قراره، خصوصاً أن البعض اعتبره «عُذراً أقبح من ذنب» عندما لفت إلى أنّ المرسوم «جاء تطبيقاً للقانون رقم 449 تاريخ 1995/8/17 الذي صدر في عهد الرئيس الراحل إلياس الهراوي وإبّان حكومة الرئيس الشهيد رفيق الحريري»، موضحاً أنّه «لم يستند إلى حسابات عددية أو فئوية، بل جاء تطبيقاً لنص القانون المذكور وأسوة بحالة بقية الطوائف اللبنانية».

منتقدو قرار ميقاتي أكدوا أنّ الحريري «لم يكن ينوي إصداره وإلا لما كان قد أعاده إلى الأدراج ليُخرجه ميقاتي بعد أكثر من 27 عاماً ويُقدّمه كهدية مجانية». ويذهب هؤلاء إلى أن ميقاتي يسعى من وراء قراره إلى «تبييض صفحته وتصفير مشكلاته» مع الرئيس السوري بشار الأسد.

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [15]

أسعد أبو خليل*

لا يزال حديثنا هنا عن مذكرات صائب سلام التي صدرت حديثاً في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة مهمّة شارك هو في صنع بعضها. وتضمّنت اليوميّات في الجزء الثالث بعض ما جاء في أحاديث صائب مع الصحافي شكري نصر الله في سنوات إقامته في جنيف.

ومن مفارقات نقد صائب سلام لتجربة منظمة التحرير ولفسادها وتحالفاتها، أنه كان يتبادل الحديث في هذا الشأن بانتظام مع «أبو الزعيم»، القريب من المخابرات السعوديّة والأردنيّة. لكن أبو الزعيم هو آخر من يحقّ له الحديث عن أخطاء منظمة التحرير. أبو الزعيم كان—حتى بمقياس فساد منظمة التحرير المستشري—من أفسد قادة منظمة التحرير الفلسطينيّة في تاريخها. هناك قصّة تروى عن اجتماع للّجنة المركزيّة لحركة «فتح» وكيف أنها كانت تعالج فضيحة اختلاقيّة الشقيقيْن» (ص. 965، ج2). لكن ألستَ أنتَ أوّل من طرح اسم سليمان للرئاسة؟ ويرُوِّر أبو عمار بعد طول انقطاع عنه. عرفات يبدي ندماً كبيراً لأن منظمة التحرير أهملت «الأوادم» (مثل صائب) و«تلاحموا مع الزعران وكيف (مثل صائب) و«تلاحموا مع الزعران وكيف أن الزعران أصبحوا أداة لغيره عليهم، فاخذ يشكو من سوريا وأنها تحرّض هؤلاء، وان وراءهم ليبيا القذّافي» (ص. 965-966، ج2). طبعاً، المقصود بالزعران هم قادة الحركة الوطنيّة. ويخمّن صائب أن «تسعين بالمئة» من الأموال للحركة الوطنيّة «ذهبت إلى بنوك سويسرا والعشرة بالمئة صرفت على تخريب لبنان والمسلمين خاصّة». بالفعل، حوّل الكثير من قادة الحركة الوطنيّة (بمن فيهم بعض الشيوعيّين) أموالاً طائلة إلى حسابات خاصّة بهم في مصارف في لبنان ودول الغرب. وإفلاس الحركة الوطنيّة كان من صنع قادتها وليس لمؤثّرات خارجيّة، كما يحلو للكثير من قادتها المتقاعدين القول.

وحبُّ صائب سلام لزوجته لا ينقطع في سرد اليوميّات ويقول ذات يوم: «ثم وصلت تميمة من جنيف، بعدما تركتُها في باريس أسبوعاً، وكان غيابها كان دهراً» (ص. 964، ج2). وينقل عن حماداة لولا توسّل الأمير مجيد، وان أهالي شباموان الذين يبدون في التاريخ اليوم أبطالاً زوراً وبهتاناً لم يوافقوا على استمرار بقائهم فيها إلا بعدما وصلتهم من عندنا في اليوم التالي شاحنتان ملآنتان بالأرزّ والسكّر» (ص. 984، ج2). وجاء خليل تقي الدين الأب يعلن ذلك للملأ. هذه أهميّة هذه اليوميّات، وهي تدفع إلى طرح السؤال: متى نكتب تاريخاً حقيقيّاً غير متخيّل للبنان الحديث—وخصوصاً أنه ليس لنا رؤية واحدة للتاريخ السحيق حيث يتصوّر الانعزاليّون في لبنان جمهوريّة فينيقيّة امتدّت لآلاف السنين وكانت ترفع علم الأرزة وكان بنوها يرقصون الدبكة على أنغام «بحبك، يا لبنان».

ثم أرسل صائب سلام، بناءً على طلب من بشير الجميّل، مصطفى بيضون، وشرح له بيضون أن «المسلمين أصبحوا متمسّكين بلبنان» (ص. 989، ج2). المفارقة أن صائب أراد أن يبلغ رجل إسرائيل في لبنان أن المسلمين متمسّكون بلبنان، على أساس أن الجميّل هذا هو مُوزِّع شهادات الوطنيّة الحقّة أو القيّم على السيادة. أمّا بشير فقد أبلغ مبعوث صائب أن «قطعهم للعلاقة مع إسرائيل لم يكن تكتيكيّاً بل استراتيجيّاً وبصورة قاطعة». كان ذلك في أوج التحالف (الذيلي) بين إسرائيل وبشير الجميّل في عام 1981، عشيّة التحضير لاجتياح لبنان عندما أوكل العدوّ مهام محدّدة لميليشيا الكتائب. لم يجد بشير الجميّل غضاضة من الكذب على صائب، وصدّقه صائب من دون سؤال، فيما كانت الصحافة العالميّة تضجّ آنذاك بأخبار تعميق تحالف الجميّل مع إسرائيل. وفي لقاء ثان، أفهمه بيضون (بالنيابة عن صائب) أن «المسيحيّين أخطأوا مرتين: مرّة منذ مئة سنة عندما اعتقدوا أن اتفاقهم مع الدروز يؤدّي إلى الغاية المطلوبة، والمرّة الثانية حين اتجهوا أخيراً للاتفاق مع الشيعة، بينما الاتفاق لا يقوم حقاً إلا إن كان بينهم وبين السنّة أولاً... لأنهم أهل الجماعة الذين يعتبرون أنهم يمثّلون كل الإسلام» (ص. 990، ج2). هذا الأسلوب الطائفي المذهبي في التعاطي مع بشير الجميّل جاراه فيه كامل الأسعد وعائلة مجيد أرسلان وعليا الصلح. تحفّظ جميل كتبي وسامي نحّاس ومحمد بديع سربيه، من فريق مستشاري صائب، على مبادرته في الاجتماعات السريّة مع بشير الجميّل، فيما وافق عليها هشام الشعّار وعاصم سلام وتمام سلام. وغريب أمر صائب. هو يتجنّب اتهام إسرائيل أو لومها في اليوميات على ما يقع في بيروت الغربيّة من تفجيرات وقتل. يتهم سوريا بتفجير سيّارة مفخّخة في أكتوبر 1981، وقد ذهب ضحيّتها مئة قتيل ومئات الجرحى. صحيح أن النظام السوري مسؤول عن جرائم عديدة في لبنان، لكن هذا التفجير الذي يشيرُ إليه صائب (والكثير من حوادث السيّارات والشاحنات والدرّاجات وحتى الحمير المُفخّخة) كان من صنع إسرائيل، وبأسم «جبهة تحرير لبنان من الغرباء». نحن نعلم اليوم من خلال كتاب «إنهض واقتل أوّلاً» لرونن برغمان أن إسرائيل كانت تستعمل اسم «جبهة تحرير لبنان من الغرباء» من أجل تأليب الرأي العام في بيروت الغربيّة ضد الفلسطينيّين والسوريّين (وكانت إذاعة «صوت لبنان» الكتائبيّة مولجة بإعلان مسؤوليّة «جبهة تحرير لبنان من الغرباء»، وكانت الإذاعة تحت إشراف إسرائيلي مباشر، تماماً كما جريدة «العمل» الكتائبيّة). لا يخطر في بال صائب لوم الإسرائيليّين على التفجيرات في بيروت الغربيّة، وخصوصاً أن الانفجار المذكور كان أمام مكتب لمنظمة فلسطينيّة.

عانى صائب في «سحب» مبلغ من المال من عدنان خاشقجي لتشييد مسجد الخاشقجي في منطقة الحرج في بيروت. المسجد، كما يقول صائب، كان «من تصميم عاصم سلام وتنفيذ بديع عشّاش ومعاناة صائب سلام» (ص. 972، ج2). وبرد في الكتاب الكثير من الروايات عن انهيار معنويّات لزعماء مسلمين سنّة ودائماً يبادر صائب إلى رفع معنويّاتهم. كانت معنويّات رشيد كرامي، حسب روايته، منهارة منذ حرب 1958، واستمرّت على هذا المنوال حتى سنوات الحرب. وفي صفحة واحدة نقرأ عن انهيار في معنويّات شفيق الوزّان (قد يكون أضعف رئيس وزراء في تاريخ لبنان. قال لي، عندما قابلته في منتصف الثمانينيّات بغرض بحث أطروحتي، إن أمين الجميّل لم يكن يطلعه على شيء، فأجبته: لكنك بقيتَ في المنصب تعطي على كل ما يقوم به) كما نقرأ عن انهيار معنويّات المفتي. يقول صائب: «وصباحاً قمتُ بزيارة المفتي لرفع معنوياته، وذلك بعدما بلغني أنه منهار تقريباً» (ص. 993، ج2).

أتى عام 1982، وزاد انهيار قادة الحركة الوطنيّة وكانوا يتقاطرون لزيارة صائب. عقد اجتماعاً طويلاً مع وليد جنبلاط وأفهمه الأخير بأنه «غير مؤمن» بتحالفه آنذاك مع رشيد كرامي وسليمان فرنجيّة وان ذلك «من جملة المناورات» (ص. 996، ج2). لكثرة ما يناور جنبلاط، يختلط الأمر على الرجل فلا يعرف ما الموقف الحقيقي وما هي موقف المناورة، ما هي ساعة التخلّي وما هي ساعة الحقيقة. كالعادة، وجده صائب منهاراً و«حاولتُ أن ارفع من معنوياته، وأن أنخيه كي لا يترك صورته تبدو سيّئة مثل الباقين. فكلّهم اوباش يعودون إلى أوكارهم إذا استقرّت الأمور، لكنّه يبقى ابن جنبلاط وله مكانته». لكن جنبلاط يسارع بعد أيام، عبر بيان لحزبه، إلى هجاء صائب، لكن توفيق سلطان يسارع إلى مراضاته مبعوثاً من جنبلاط. ويخبره ناظم القادري أن «الجماعة المنتسبين إلى سوريا» يقولون لمن يزورهم بغرض المشورة إنهم «في لبنان نعتمد على سليمان فرنجيّة وكامل الأسعد ورشيد كرامي ووليد جنبلاط، فاذهبوا وتفاهموا معهم» (ص. 1006، ج2). وكان الوزير محمد يوسف بيضون في وضع سيّئ هو الآخر، لكن صائب يقول «فهدّأتُ من روعه وطيّبتُ خاطره» (ص. 997، ج2). يذكر صائب عرضاً حادث اشتباك عنيف بين حركة «أمل» والشيوعيّين. هذه الاشتباكات بين «أمل» والشيوعيّين اختفت من السردية الحالية لأن هناك في اليسار اللبناني التابع لدول الخليج من يصرّ على إقحام حزب الله—حتى قبل أن يولد—في الاشتباكات التي كانت تجري مع الشيوعيّين آنذاك.

يلتقي صائب بالمسؤول الليبي في معهد الإنماء العربي. سؤال لصائب عن إمكانيّة زيارة ليبيا، لكن صائب يشرح الوضع: «لا أعتقد أن الجو السياسي مناسب لذلك، لكن إذا جرت الصلة على أساس مساعدات خيريّة للمقاصد، فعندها يتبدّل الوضع، وقد تفهّم ذلك. بقي أن هنالك حساسيّة السعوديّين التي عليّ أن اخذها في عين الاعتبار، مع أنني أجد أن السعوديّين مقصّرون معنا جداً جداً، وعلى كلّ صعيد، سياسياً ودعماً» (ص. 1001، ج2). بلغ صائب سن الثامنة والسبعين وحمد الله على شعبيّته (التي تزداد يوماً بعد يوم عند المسلمين وعند المسيحيّين على السواء، وهذا من فضل ربّي). يزور كثيرون صائب في طلب تمويل سعودي. يروي: «أتاني محمد بعلبكي وأحمد شومان يشكوان من تقصير السعودية معهما، وكان شومان قد جاءني وحده في السابق يشكو مرّة. وكثيرون مثلهما يشكون ويعتقدون أن حالي أفضل منهم مع السعوديّة... ولكن حرجي شديد، فالسعوديّون يرسلون لي كلاماً معسولاً وتقديراً وتمجيداً، ولكنهم لا يلبّون ما كانوا قد وعدوا به للمقاصد، ولا حتى دفع قيمة بناء «المدرسة المهنيّة» التي وعد بها الملك فهد شخصيّاً» (ص. 1002، ج2. الطريف أن مروان حمادة ذكر في مقابلة قبل أيّام اسم الصحافي أحمد شومان من ضمن «الصحافيّين الكبار». لعلّ تعريف الصحافي الكبير عند مروان حمادة وصحبه أنه هو الذي يسعى وراء التمويل الخليجي لقلمه). يزوره القائم بالأعمال السعودي ويطرح عليه فكرة زيارة المملكة. قال له صائب إنهم «لا يفهمون ولا يصغون إلا لمن يبتزّهم، وإن أخلاقيّتنا تمنعنا من ممارسة الابتزاز عليهم، وخصوصاً لأنه كانت لهم أفضال على المقاصد». ثم يزوره مسؤول آخر من السفارة السعوديّة مقترحاً، مرّة أخرى، زيارة السعوديّة، ويرفض صائب مرّة أخرا مكرراً كلامه عن رفضه لابتزاز المملكة ويؤكّد انه يعترف «بجميل ما قدّموه لنا في السابق للمقاصد، على ضالته بالنسبة إلى حاجاتنا، وبالنسبة إلى زهادته على ما يقدّمونه من أشياء أخرى لأناس آخرين» (ص. 1014، ج2). نقرأ هذا الكلام ونقارن ولاء صائب للنظام السعودي بولاء معظم ساسة لبنان اليوم للنظام. أصبح الولاء أكثر حديديّة وانصياعاً. هل تتخيّل أن تأتي دعوة لزيارة السعوديّة إلى السنيورة أو جعجع أو جنبلاط أو ميقاتي أو تمام سلام أو البطريرك الراعي ويرفضونها؟ لا يمكن. ثم، أليست مفارقة أن وليد جنبلاط أصبح أكثر إذعاناً للنظام السعودي من صائب سلام الذي كان وليد هو وأبوه، يعيّره بأنه «عميل سعودي»؟

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

متى نكتب تاريخاً حقيقيّاً غير متخيّل للبنان الحديث ـ وخصوصاً أنه ليس لنا رؤية واحدة للتاريخ السحيق حيث يتصوّر الانعزاليّون في لبنان جمهوريّة فينيقيّة امتدّت لآلاف السنين

إلى رام الله ليساعده في إنشاء سلطة التنسيق الأمني الفاسدة.

وانتقل صائب إلى جنيف بعيداً عن مخاوف العيش في لبنان (وخصوصاً بعد تلقّيه معلومات أو تحذيرات من نيّة سوريّة للتخلّص منه، وكذلك ما ورد في حينه على لسان عبد الحليم خدّام، الذي تحوّل إلى صوت الثورة السورية ضد نظام بشّار الأسد من على شاشات النظام السعودي). وكان صائب منهمكاً في تدبير أمر التمويل العراقي لـ«المقاصد» وتأسيس «كليّة صدّام حسين الطبيّة». ويلتقي بطارق عزيز الذي عبّر عن دهشة لمضيّ صائب في مشروع «كليّة صدام حسين»، وتنقل إعجاب صدّام بصائب، وأنه ليس عند صدّام من يقدّره في كل العالم العربي «أكثر من صائب سلام» (ص. 958، ج2). ويحدّث طارق عزيز تعاوناً سعوديّاً-عراقيّاً لقلب النظام في سوريا، لكنه يظنّ أن النظام السعودي يخشى أن يهيمن نفس الفرع من حزب البعث على سوريا والعراق معاً. ثم ينتظر صائب في جنيف قدوم شيخ قطر، وتمنّى—عبر صديقه وسفيره في باريس، وليم قازان—إنشاء كلّيّة مقاصديّة باسمه أيضاً، و«بمبلغ يتراوح بين 5 و10 مليون دولار» (ص. 957، ج2). طلب الأمير القطري مراجعة شقيقه الأكبر. والتقى بفخري دلّول الذي فاتحه بشؤون «التبرّعات» ويقول صائب: «فائتلج ذلك قلبي». ونكتشف عرضاً في السردية أن لصائب منزلاً باريسيّاً. غير المنزل في جنيف، مع أن صائب دائم الشكوى من الوضع المالي واضطراره إلى بيع الأملاك للإنفاق على «المقاصد». وينقل صائب من باريس عن «بدرو ديب» (يقصد بترو ديب، وكان يطرس ديب ينادي نفسه وينادي أصدقاؤه بـ«بترو»، لكن صائب الحريص على اللغة العربيّة عرّب الاسم) أن السفير السوفياتي توقّع سقوط النظام السعودي في غضون سنتين.

الإمعان في تشويه «الطائف»

سعد الله مزرعاني*

عملية تعطيل أو تشويه «الطائف» بدأت مبكراً جداً. لقد كانت منذ كان ذلك الاتفاق! هي تتواصل، بشكل مطّرد، حتى يومنا هذا. شاركت في التعطيل أو التشويه أطراف متعددة: داخلية وخارجية. الأسباب ليست واحدة، لكن النتيجة هي كذلك: بتر أو تشويه إصلاحات «الطائف»، إخضاع تطبيقه لموازين القوى، في كل المراحل، ومن قبل كل اللاعبين المعنيين في الداخل أو الخارج.

بدأ الأمر بالنزاع، منذ البداية، على النص والمحتوى. خاض البعض معركة الالتباس أو التناقض في الصيغ والتبعية، أداة لاستعادة نفوذهم، تماماً كما فعل آخرون، بوسائل ولأهداف مشابهة، في مراحل ممتدة منذ عام 1992 حتى يومنا هذا. واقع الأمر أن المحاولة السعودية هي أبعد ما تكون عن الحرص على تسوية «الطائف» بكل مندرجاتها وتوازناتها، وخصوصاً في جوانبها الإصلاحية. معروف أن قيادة المملكة تذهب بعيداً الآن في إرساء سلطة فردية لا دور للمؤسسات فيها حتى ولو كانت على مستوى العائلة المالكة فحسب! أمّا نموذجها للعروبة فهو مدموغ بالتطبيع مع العدو الإسرائيلي وبالتحالف مع رموزه: نتنياهو مع الكيان الصهيوني، وترامب، في البيت الأبيض أو في سعيه لاستعادته.

بيد أن مصادر التشويه لا تقتصر فقط على القوى التقليدية، في الداخل والخارج، تلك التي عطّلت إصلاحات «الطائف»، إمّا تلبية لمصالح خارجية، وإمّا لنقل الامتيازات من طرف إلى آخر. ثمة موجة بدت للبعض بريئة، وهي ليست كذلك أبداً. لقد جرى حصر أسباب الأزمة في شعارات قوى «التغيير» ورعاتها، بالمرحلة الممتدة منذ عام 1992 حتى اليوم. وهي سُمّيت بشكل مقصود مرحلة «الطائف». جرت عملية مطابقة وتفاعل سببي ما بين الأزمة وإقرار تسوية «الطائف» مطلع تسعينيات القرن الماضي. كان ذلك جزءاً غير بري، من محاولة حصر المسؤولية بمرحلة، وبفريق، وبسلطة، بعيداً عن النظام السياسي اللبناني (والبورجوازية الكبرى التي تتوسله) الذي تتضمن تسوية «الطائف» عناصر أولية لإطلاق معالجة ناجعة للاختلال في بنيته ومرتكزاته.

إن تحييد النظام عن المسؤولية يجافي الحقيقة. وهو يستبطن، في الواقع، رغبة في الحفاظ على ذلك النظام وعلى قواه الأساسية المسؤولة، مع الاتباع في لبنان، إلى محاولة استعادة نفوذها التقليدي في الوسط السياسي والشعبي السني نتيجة «خروج» سعد الحريري، غير المتوقع، على «وليّ الأمر» في الرياض، ما استدعى تعنيفه وفرض الاستقالة عليه، ولاحقاً (حين لم يستجب) إقصاءه عن الحياة السياسية عموماً. بعد انكفاء وانطفاء، ومكابرة وخيبة رهانات، عادت سلطات المملكة، إذاً، إلى دور مباشر وفج (وصاية) في لبنان، لملء الفراغ في الطائفة «السنية» ومحاولة القيام بدور مؤثّر في لبنان، عبر الانخراط في الصراع الدائر فيه بعبدَيه المحلي والإقليمي. هكذا سخّر السعوديون «اتفاق الطائف»، بالنفخ في العصبية والتبعية، أداة لاستعادة نفوذهم، تماماً كما فعل آخرون، بوسائل ولأهداف مشابهة، في مراحل ممتدة منذ عام 1992 حتى يومنا هذا. واقع الأمر أن المحاولة السعودية هي أبعد ما تكون عن الحرص على تسوية «الطائف» بكل مندرجاتها وتوازناتها، وخصوصاً في جوانبها الإصلاحية. معروف أن قيادة المملكة تذهب بعيداً الآن في إرساء سلطة فردية لا دور للمؤسسات فيها حتى ولو كانت على مستوى العائلة المالكة فحسب! أمّا نموذجها للعروبة فهو مدموغ بالتطبيع مع العدو الإسرائيلي وبالتحالف مع رموزه: نتنياهو مع الكيان الصهيوني، وترامب، في البيت الأبيض أو في سعيه لاستعادته.

بيد أن مصادر التشويه لا تقتصر فقط على القوى التقليدية، في الداخل والخارج، تلك التي عطّلت إصلاحات «الطائف»، إمّا تلبية لمصالح خارجية، وإمّا لنقل الامتيازات من طرف إلى آخر. ثمة موجة بدت للبعض بريئة، وهي ليست كذلك أبداً. لقد جرى حصر أسباب الأزمة في شعارات قوى «التغيير» ورعاتها، بالمرحلة الممتدة منذ عام 1992 حتى اليوم. وهي سُمّيت بشكل مقصود مرحلة «الطائف». جرت عملية مطابقة وتفاعل سببي ما بين الأزمة وإقرار تسوية «الطائف» مطلع تسعينيات القرن الماضي. كان ذلك جزءاً من الوعي القومي والذاكرة الجمْعية. ومن تلك العبَر أيضاً أن المثقف النقيّ يكتسب صدقيته من تأصُّله في معجن بلاده انتماءً وطروحات، من دون أن يعني ذلك انسداد الأفق على التخطي. وحتى الضيافة الدمشقية العابق برائحة التراث، إلى مناسبات ثقافية في صروح كبرى، من المشاركة في تكريم الشاعر شفيق معلوف إلى تكريم النحّات سعيد مخلوف. وفي كلتا المناسبتين، غار يراعها عمقاً ما بين السطور، كما تَبَدّدَ لغتها المسكوبة في وعاء فكريّ رفيع.

نجاح العطار والرصيد الثقافي

ربيع الدبس*

هذه الشهادة لا تُعزّي إلى توَشُّحها بالأوسمة والميداليات، من تشيلي إلى اليابان ومن فرنسا إلى الاتحاد السوفياتي، وإنْ يكن وسامُ أمية الوطني المرصّع الذي قلّدها إياه الرئيس بشار الأسد ذا دلالة رمزيّة أفصحَ من الشهادة والشهود.

تتحدر وزيرة الثقافة والإرشاد القومي سابقاً في الجمهورية العربية السورية ونائب الرئيس حالياً الدكتورة نجاح العطار من أسرة مرّوَرة بالقيم القانونية والأدبية والدينية، أضافت هي إليه بل إلى سورية الحبيبة رصيدَ ثقافة أصيلة وقِفاً معرفياً من الإدارة الثقافية الخلّاقة، ومن الإنتاج الممتد على مساحات الفكر والأدب والنقد والترجمة والموسيقى والمسرح وسائر الفنون. على أرضية هذه الروحية الإيجابية يمكننا أن نرى مقولة ماكس فيبر منطبقة على تصالُحها مع نفسها وشعبها وبالمناقب التي بها تؤمن، يقول فيبر: «الإنسان كائن يتشبّث بشبكة المعاني التي نسجها بنفسه». كل ذلك حصل وفق معادلتها الثلاثية في التواضع والكِبَر والصوت الخفيض. لعلها متأثرة، قبل إعجابها بالشاعر العراقي الكبير «المُتَدَمشِق» الجواهري، بالرؤى الصوفية النبيلة لجلال الدين الرومي القائل: «ليرتفع منك المعنى لا الصوت، فإنّ ما يحمل الزهر يَنبُتُ ويتفتّح هو المطر لا الرعد».

وقد يكون مستحيلاً نسيانُ محطاتٍ مضيئة شرّفَني خلالها اللقاءُ بها، من مكتبها في قصر الضيافة الدمشقي العابق برائحة التراث، إلى مناسباتٍ ثقافية في صروح كبرى، من المشاركة في تكريم الشاعر شفيق معلوف إلى تكريم النحّات سعيد مخلوف. وفي كلتا المناسبتين، غارَ يراعها عمقاً ما بين السطور، كما تَبَدّدَ لغتها الأسيرة المسكوبة في وعاء فكريّ رفيع.

ثريةٌ كتُبُها بالمَؤْشورات الثقافية الإنسانية، مِنْ «أسئلة الحياة» إلى «نكون أو لا نكون». أمّا كتابها الصادر في العام الماضي بعنوان «أيام عشتها وهي الآن للتاريخ» فقراءةٌ لنصف قرن من الأحداث والتبدلات والمؤامرات التي عصفَتْ بسوريا وعالمها العربي. من هنا صعوبة اختزال هذا المؤلَّف، ومن هنا أهمية مطالعته كاملاً. غير أن في الإمكان استقراء غير عبرة منه. كالتأكد من أن ثمة ارتباطاً عضوياً ما بين الساحة السياسية والساحة الثقافية، فالخروقات التي تجتاح معظم العالم العربي تستهدف في الدرجة الأولى طمس القضية الأساس وتزوير الوقائع وإلغاء، فلسطين من الوعي القومي والذاكرة الجَمْعية. ومن تلك العِبَر أيضاً أن المثقف غير هائبٍ والذي تحتضن دمشقُ رفاته، فيجرُّم في نُبل حضاريّ رؤيوي: «لن تَبْلُغَ من الدِّين شيئاً حتى تُوَقِّر جميع الخلائق»... وإذا كان مكسيم غوركي قد شعر أنه ينام نوماً أهنأ عندما يعرف أن تولستوي حيٌّ يُرزق في الكوخ نفسه، فيقيناً أن الدكتورة العطار لا تهنأ متى كان مبدعٌ من بلادها غير هانئ في منامه ولا حتى في يقظته، فكيف إذا كانت الحرب الكونية على سوريا ولبنان وفلسطين والعراق تُلمت كثيراً من مبدعينا ولم تَشْفِ بعد كيد المخطِّطين والمنفذين والخونة، العاملين على تلغيم تربتنا الثقافية الأصيلة بالهَجين من الثقافات الدخيلة!

* أكاديمي لبناني وباحث في الحضارات

تنهض به الثقافة المنشودة. أليس مغلوطاً الاعتقادُ بالتاريخ على أنه ما كان، في حين أنه في الصيرورة المتواصلة؟ أليس حريّاً بنا، والحالة هذه، أن نحيا تلك الصيرورة فيمتد فينا ماضي الحق إلى حاضر حق ومستقبل حق؟

منذ شَبابها، وهي الآن على مشارف التسعين، انخرطت الدكتورة العطار في المقاومة الثقافية الجادّة للاحتلالين الفرنسيّ والصهيوني. على أن موقعها القيادي في السلطة لم يُنْسِها حضور الله الدائم في أدائها ولم يَحُل دون إيمانها العميق بعظمة الخالق، لكنه عزّزَ من العقلنة المواكبة لذلك الإيمان في مَعِيّة الحبّ الإلهي والوطني الحق. يقول أبو يزيد البسطامي: وقولُه حق معياري علينا جميعاً: «عجبتُ لِمَنْ يقول ذَكَرتُ ربي فهل أنسى فأذكر ما نسيتُ؟ شربتُ الحبّ كأساً بعد كأسٍ فما نفدَ الشراب وما رويتُ».

أمّا شيخ المتصوفين ابن عربي، الداعي باكراً إلى مذهب وحدة الوجود والذي تحتضن دمشقُ رفاته، فيجرُّم في نُبل حضاريّ رؤيوي: «لن تَبْلُغَ من الدِّين شيئاً حتى تُوَقِّر جميع الخلائق»... وإذا كان مكسيم غوركي قد شعر أنه ينام نوماً أهنأ عندما يعرف أن تولستوي حيٌّ يُرزق في الكوخ نفسه، فيقيناً أن الدكتورة العطار لا تهنأ متى كان مبدعٌ من بلادها غير هانئ في منامه ولا حتى في يقظته، فكيف إذا كانت الحرب الكونية على سوريا ولبنان وفلسطين والعراق تُلمت كثيراً من مبدعينا ولم تَشْفِ بعد كيد المخطِّطين والمنفذين والخونة، العاملين على تلغيم تربتنا الثقافية الأصيلة بالهَجين من الثقافات الدخيلة!

* أكاديمي لبناني وباحث في الحضارات

على الغلاف

المملكة تعرض «حلولاً» وتدعو المشاط لزيارتها

وقائع مفاوضات مباشرة بين صنعاء والرياض

في وقت يراوح فيه الوضع في اليمن في خانة اللاسلم واللاحرب، برزت، في الأيام الأخيرة، مؤشرات سياسية عبر مواقف الأطراف كافة، وميدانية من خلال تحرّكات عسكرية سعودية وأميركية في أكثر من جبهة، أتبأت بأن ثمة تحضيرات لاستئناف القتال. في انتظار الإعلان الرسمي لفشل الوساطات الإقليمية والدولية الجارية في عمان وغيرها، من أجل تمديد الهدنة المنتهية منذ الثاني من تشرين الأول المنصرم. إلا أن ما يسجل في الكواليس السياسية في صنعاء والرياض، يبدو مختلفاً بشكل كبير عما يرشح من تصريحات وتحركات، إذ يعكس رغبة جميع الأطراف في وضع حدّ للحرب، في حين ما يعيق الوصول إلى خواتيم سعيدة، حتى الآن، يبقى الإصرار السعودي على إيجاد «تخريجة مجمّلة»، تُظهر المملكة بمظهر «الرابح والحريص» في الوقت عينه

حمزة الخنسا

التحرّكات العسكرية السعودية والأميركية في اتّجاه محافظات اليمن الجنوبية والشرقية الغنية بالنفط والموانئ الاستراتيجية، ومحاولات الإمارات تكريس سيطرتها على جزيرتي سقطرى وعبد الكوري في الخليج الهندي، وتعزيز نفوذها في جزيرة ميون الاستراتيجية المطلّة على مضيق باب المندب وخطوط الملاحة الدولية في الساحل الغربي، تعكس جميعها حماوة المفاوضات الثنائية المباشرة بين صنعاء والرياض، أو تلك التي تجري بواسطة عُمانية بين الطرفَين في مسقط.

ما رَشَح من معلومات حول مطالب حركة «أنصار الله»، وفي المقابل مماطلة السعودية ومعها فريقها اليمني في عدن، يشير إلى أن مفاوضات تمديد الهدنة عالقة عند رفض الرياض وحلفائها المطالب المُشار إليها، وخصوصاً تلك المتعلّقة بدفع رواتب الموظفين المدنيين والعسكريين. إلّا أن الجديد المسجَّل في الكواليس، كشفت جزءاً منه مصادر عربية مُواكبة للمفاوضات، في حديثها إلى «الأخبار»، حيث قالت إن التواصل المباشر بين الحكومة السعودية وحكومة «الإنقاذ» لم ينقطع منذ لحظة الإعلان عن انتهاء الفترة الأخيرة من الهدنة في الثاني من تشرين الأوّل الفائت، من دون النجاح في الوصول إلى اتّفاق جديد لتمديدها. وكشفت المصادر عن لقاءات مباشرة عديدة جرت بين الطرفين في صنعاء والرياض، آخرها قبل أيام قليلة، حيث زار وفد سياسي سعودي رفيع العاصمة اليمنية، والتقى بقيادات رفيعة في حكومة «الإنقاذ» وحركة «أنصار الله»، وتمّ البحث في ملفّ الهدنة وشروط تمديدها وسقف التسهيلات الذي يمكن للسعودية أن تَبلغه في سبيل الوصول إلى تمديد جديد، على أن يتمّ في مرحلة لاحقة البحث في مُدّته، وصولاً إلى شروط الحلّ النهائي ومتطلّباته.

وأكدت المصادر ذاتها أن الوفد السعودي «أظهَر مرونة لافتة في ملفّات عديدة، أبرزها ملف الرواتب»، إذ أبدى استعداداً لحلّ المسائل العالقة في هذا الشأن وتأمين التمويل اللّازم لها، كما ولإزالة العقبات التي تعترض ملفّات أخرى من مثل فتح الطرقات، وتنويع وُجهات الرحلات من مطار صنعاء وإليه. إلّا أن السعوديين عرضوا «تمويل الحلول» من خلال مبادرات تحت عنوان «مساعدة الأشقاء في اليمن»، لا تحت عناوين أخرى من قَبيل «دفع تعويضات جرّاء العدوان»، أو تمويل الرواتب من عائدات النفط والغاز اليمنيَين، بما يظهر وكأنه رضوخ لشروط «أنصار الله». كذلك، عرض السعوديون على مُضيفيهم اليمنيين أن يرسلوا وفداً رسمياً إلى الرياض برئاسة رئيس «المجلس السياسي الأعلى» في اليمن، مهدي المشاط، في سبيل المزيد من التشاور تمهيداً للوصول إلى خلاصات عملية من هذه المفاوضات. إلّا أن مطلباً سعودياً - قديماً جديداً - يتعلّق بالعلاقة بين «أنصار الله» وإيران، مرّره الوفد السعودي الزائر إلى صنعاء كتمنٍّ، يُمكن الرياض، في حال الاستجابة له، من تسويق «إنجاز كبير» يتعلّق بالنجاح في «انتزاع اليمن من الحضن الإيراني وإعادته إلى عمقه العربي»، ويبرّر «الثمن الكبير» الذي أبدى الوفد استعداد الرياض لدفعه.

وفيما لم تكن ردود صنعاء على المقترحَين الأخيرَين خصوصاً، إيجابية، إلّا أن هذه التطورات تزامنت مع حديث المشاط عن وجود تفاهمات غير معلَنة مع أطراف إقليمية حول ثبات اتّفاق وقف إطلاق النار، وحديثه عن أن «صنعاء تمنح بعض دول العدوان فرصة لإعادة النظر في عدوانها بعد أن اقتنعت (تلك الدول) بأنها خاسرة»، فضلاً عن حديثه عن أن «مفاوضات الهدنة سبق لها أن وصلت إلى مستوى تفاهم جيّد، إلا أن المبعوث الأميركي، تيم ليندركينغ، تعمّد إفشالها خلال جولته السابقة في المنطقة». كذلك، سُجّلت في صنعاء، في الأيام الأخيرة، مواقف كثيرة ضدّ التحرّكات الأميركية - البريطانية في الجزر اليمنية على الخصوص، متساوقةً مع اتّهامات رسمية للولايات المتحدة بتعمّد عرقلة «عملية السلام»، ما يطرح سؤالاً ملحّاً حول التناقض بين ما هو ظاهر وما هو خفيّ في أداء الطرفين السعودي والأميركي حيال اليمن، وما إذا كان التوتّر الذي يخيّم على علاقتهما حالياً، ربطاً بالخلاف الناتج من قرار «أوبك بلس» خفْض إنتاج النفط، انعكس تضارباً في المصالح والأهداف انطلاقاً من اليمن. إلى الآن، يبدو أن رؤى الرياض وواشنطن تتقاطع عند إيجاد حلّ في اليمن، وإنْ كانت الأولى تُفضّل التوصّل إلى حلّ شامل للحرب، فيما تؤثِر الثانية، في هذه المرحلة تحديداً، حلولاً مرحلية من مثل تمديد مستمرّ للهدنة، بشكل يمكّنها من مواصلة استخدام الملفّ اليمني كـ«ورقة لعب» مثمرة، خصوصاً مع توتّر العلاقات بين الإدارة الأميركية وولي العهد السعودي، والذي كانت نتائج حرب اليمن أحد مسبّباته. وفي هذا الإطار، قال روبرت ساتلوف وديفيد شينكر، في تحليل موجز نشره موقع «معهد واشنطن للدراسات»، بعد زيارة قاما بها إلى السعودية، إنه «بغضّ النظر عن كيفية وصْف حرب اليمن، من الواضح أن السعودية ترغب في الانسحاب من النزاع اليوم (قبل الغد). ولكن من غير الواضح على الإطلاق ما إذا كان الحوثيون وداعموهم الإيرانيون سيجارونها في هذا المسعى». وعليه، يبقى اليمن ساحة مهمّة لمواجهة طهران، من وُجهة نظر الرياض وواشنطن على السواء؛ إذ أكد المتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية، نيد برايس، الشهر الماضي، أن إدارة بايدن لن تغضّ الطرف عن التهديد الذي تشكّله إيران عند مراجعة علاقة الولايات المتحدة بالسعودية، قائلاً إن «هناك تحدّيات أمنية، بعضها ينبع من إيران. وبكلّ تأكيد، لن نغضّ الطرف عن التهديد الذي تشكّله إيران، ليس فقط بالنسبة إلى المنطقة، ولكن في مناطق أخرى أيضاً».

زار وفد سياسي سعودي صنعاء والتقى بقيادات رفيعة فيها (أ ف ب)

> ابدى الوفد السعودي استعداداً لحلّ الملفّات العالقة وتأمين التمويل اللازم لها

من الواضح، إذاً، أن الإدارة الأميركية تحيّد مشكلاتها مع ابن سلمان عن كلّ ما يخصّ صراعها مع إيران. إلّا أنه يبدو أن التحرّكات الأميركية الأخيرة، خصوصاً في حضرموت، تأتي في إطار مساعي واشنطن للإمساك بجميع المحافظات الشرقية الغنية بالنفط، ولو أدّى ذلك إلى إقصاء الوجود السعودي في هذه المحافظات، خصوصاً وأن الرياض تملك أجندتها الخاصة في اليمن، والتي قد تتقاطع أو تتعارض مع الأجندة الأميركية، فيما تُعتبر الولايات المتحدة أن الوجود الإماراتي في معظم منابع النفط ومصبّاته، ما عدا مأرب التي تتبع المحافظات الشمالية، هو ضمانة لها، بالنظر إلى أن أبو ظبي لا تمتلك أجندة مستقلّة عن تلك الأميركية، خصوصاً في ما يتعلّق بالوجود في المناطق الاستراتيجية كالموانئ والجزر اليمنية. وتُعتبر مدينة الريان، شرقي المكلا مركز محافظة حضرموت، بمينائها، ومطارها على وجه الخصوص، أشبه بقاعدة عسكرية إماراتية - أميركية ضخمة، تحتوي على أنظمة «باتريوت» للدفاع الجوي، إلى جانب شمولها غرف العمليات والتنسيق، وتشكيلها محطّاً لرحلات طائرات النقل العسكرية، وحاضنة للأنشطة المتعلّقة بتصدير نفط حضرموت وغازها.

صفقة إطلاق الخضري: معلومات للسعودية حول طيّاريها

صنعاء ـ الأخبار

أثار الإفراج عن الممثّل السابق لحركة «حماس» في السعودية، محمد الخضري، في تشرين الأوّل الماضي، الكثير من علامات الاستفهام حول خلفيّاته وتوقيته، خصوصاً أنه جاء خارجاً من سياق الحملة التي قادتها السلطات ضدّ الناشطين الفلسطينيين على أراضيها، وأيضاً معاكساً لموجة التطبيع التي لا تفتأ تشتدّ في المملكة. وكانت المطالبات بإطلاق سراح الخضري، المحكوم بالسجن 15 عاماً قبل أن يُخفّض حُكمه إلى ستّة أعوام، اكتسبت زخماً، منذ أن أعلن قائد حركة «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، في الذكرى الخامسة للعدوان على اليمن، مبادرة تضمّنت استعداد صنعاء للإفراج عن أحد الطيّارين السعوديين الأسرى في عملية إسقاط طائرة «تورنيدو» منتصف شباط 2020، بالإضافة لأهمّ ورقة فيه، وإنذار بانتهاء صلاحية المبادرة.

وعلى هذه الخلفية، كشفت مصادر مطّلعة، لـ«الأخبار»، أن الرياض طلبت من صنعاء تعديل العرض، وإعادة ملفّ الطيّارين إلى طاولة البحث، وهو ما ردّت عليه «أنصار الله» بالقبول فقط بالكشف عن معلومات بشأن مصير هؤلاء مقابل الإفراج عن السعودي، مقابل الإفراج عن المختطَفين من حركة «حماس»؛ إلّا أن هذه المبادرة لم تلقَ أيّ تجاوب من الجانب السعودي. وفي آب 2021، جدّد الحوثي العرض المذكور، لكنه سحب منه أيّ حديث عن الطيّارين، وهو ما ردّت التقطته السعودية على أنه إبطال لورقة فيه، وإنذار بانتهاء صلاحية المبادرة.

وعلى هذه الخلفية، كشفت مصادر مطّلعة، لـ«الأخبار»، أن تلك الإجابة نقلتها الحركة إلى السعودية عبْر وفدها الذي زار منطقة أبها في قطاع عسير - ضمن زيارات متبادلة الشهر الماضي بشأن ملفّ الأسرى -، قبل أن تُقابلها المملكة بالإيجاب، على ما يبدو. وكانت وكالة «رويترز» قد نقلت، في 16 تشرين الأول الخضري. وأشارت المصادر إلى أن تلك الإجابة نقلتها الحركة إلى السعودية عبْر وفدها الذي زار منطقة أبها في قطاع عسير - ضمن زيارات متبادلة الشهر الماضي بشأن ملفّ الأسرى -، قبل أن تُقابلها المملكة بالإيجاب، على ما يبدو. وكانت وكالة «رويترز» قد نقلت، في 16 تشرين الأول الفائت، عن عزت الرشق، عضو المكتب السياسي لـ«حماس»، تأكيده أن الممثّل السابق للحركة في السعودية، محمد الخضري (83 عاماً)، الذي احتجزته السلطات هناك عام 2019 مع العشرات، يتوجّه على متْن طائرة إلى الأردن، من دون الخوض في تفاصيل الصفقة.

الخطة البديلة لتصدير النفط تنتكس

صنعاء ـ رشيد الحداد

للمرّة الثالثة في غضون شهر، أحبطت قوات صنعاء محاولة جديدة لتصدير النفط من قِبَل الحكومة الموالية للتحالف السعودي. وبحسب مصادر ملاحية في صنعاء، تحدّثت إلى «الأخبار»، فإنّ سفينة متوسّطة الحجم تجاهلت تحذيرات «اللجنة الاقتصادية» في صنعاء بشأن منْع نقْل الخام من موانئ محافظتَي شبوة وحضرموت، ودخلت المياة الإقليمية اليمنية قادمة من ميناء الظنة في أبوظبي. وحال اقترابها من ميناء قنا الواقع في مديرية رضوم في محافظة شبوة في تمام الساعة العاشرة والعشرين دقيقة من صباح الأربعاء، تعرّضت لهجوم جوّي بواسطة طائرة مسيّرة مصدرها الأراضي اليمنية الخاضعة لسيطرة «أنصار الله»، ما تسبّب بإصابات طفيفة لاثنَين من طاقمها، وحمّلها على مغادرة المياه اليمنية باتّجاه المياه الدولية، فيما أعلنت السلطات المحلية الموالية لـ«التحالف» إغلاق الميناء حتى إشعار آخر. وأكد المتحدّث باسم قوات صنعاء، العميد يحيى سريع، أن قواته «أفشلت محاولة لنهب النفط الخام عبر ميناء قنا في محافظة شبوة المستخدَم من قِبَل العدو للتهريب»، مُجدداً تحذيره الشركات الملاحية كافة من «مغبّة عدم الامتثال لقرار حماية الثروة الوطنية السيادية، باعتبارها من حقوق شعبنا المظلوم، وعلى رأس تلك الحقوق مرتّبات موظفي الدولة في كلّ المناطق اليمنية».

> الحكومة الموالية لـ«التحالف» أقرّت مطلع الأسبوع الجاري خطّتها الجديدة لتصدير النفط

وكانت الحكومة الموالية لـ«التحالف» قد أقرّت، مطلع الأسبوع الجاري، خلال اجتماع استثنائي، خطّتها الجديدة لتصدير النفط من مرافق ثانوية، من مِثل ذلك القائم في سواحل مديرية رضوم. وتتضمّن الخطّة، وفق مصادر حكومية في عدن، شقّين: الأوّل، الطلب من الولايات المتحدة تأمين حقول النفط والغاز؛ والثاني، يتعلّق باستخدام موانئ غير رئيسية لتجنّب توقّف قطاع العقلة النفطي، أخر القطاعات الإنتاجية العاملة في شبوة، بعد تعطّل الإنتاج في قطاع «جنة هنت» في مديرية عسيلان، وامتلاء خزانات ميناء النشيمة التي تبلغ طاقتها الاستيعابية 600 ألف طن. وفي أعقاب القرار الحكومي، نشطت العشرات من الصهاريج في نقل شحنات من خام العقلة الخفيف من ميناء النشيمة إلى ميناء قنا البدائي الواقع في عرض البحر، على رغم أن حكومة عدن سبق لها أن علّقت نشاط الميناء المذكور مطلع العام الجاري بشكل كلّي، واتّهمت حزب «الإصلاح» باستخدامه في أنشطة غير مشروعة.

الرياض طلبت من صنعاء تعديله العرض، وإعادة ملفّ الطيّارين إلى طاولة البحث (أ ف ب)

مقالة

البحرين... انتخابات الكراهية

يوسف ربيع *

ليس عبثاً تزامُن استضافة النظام في البحرين بابا الفاتيكان فرنسيس، مع الانتخابات النيابية والبلدية في البلاد، والمزمع إجراؤها اليوم. يطمح النظام إلى أن يصدّر نفسه بوصْفه نموذجاً متقدّماً تأخذ فيه المشاركة الشعبية حيّزاً كبيراً، وهو أمر تُطرب له آذان دول الاتحاد الأوروبي والبريطانيين على السواء. هذه الوصْفة الشكلية ليست بمنأى عن الاستشارات التي تقدّمها المخابرات البريطانية التي ما زالت تتحكّم بالحياة السياسية في المملكة، ومفادها أن البحرين، الدولة الصغيرة في الخليج، تمتلك مساحة من الديموقراطية وحوار الأديان في منطقة ما زالت تعادي صناديق الاقتراع، باستثناء الكويت.

لكن الحبر الأعظم كان منتبهاً إلى تلك المخاتلة؛ إذ اختار في خطابه أن يقرأ من كتاب الملك نفسه، وأعني هنا دستور البحرين الذي انقلب عليه حمد بن عيسى آل خليفة عام 2002، بتشديده على حُرمة التمييز بين المواطنين وكفالة الحريات الدينية، وعلى ضرورة تطبيق المادّتَين 18 و22 من الدستور، ودعوته إلى حماية حق الحياة، خصوصاً وأن التعاليم الكاثوليكية تعارض عقوبة الإعدام تماماً. هذه الرسالة نزلت ثقيلة على الملك في الحفل الذي أقيمَ للبابا في قصر الصافرية، إلى حدّ أنه ما إنْ انتهى الحفل بساعات، حتى صَدر عن حمد في منتصف الليل بيان يؤكد احترام الحرّيات الدينية ومبدأ العدالة الاجتماعية، في ما بدا ردّاً على كلام البابا.

بالتأكيد، حين حضَر البابا إلى البحرين، عُرضت عليه المكاتبات من قِبَل الجهات السياسية البحرينية، وعلى الخصوص «جمعية الوفاق» المُعارضة، وأمينها العام الشيخ علي سلمان المحكوم بالمؤبّد، إضافة إلى المرجعيات والمراكز الدينية للطائفة الشيعية، وبيانات المجتمع الحقوقي العربي والمحلّي بشأن الأوضاع الحقوقية والسياسية في هذا البلد، وما يعانيه المواطنون الشيعة من انتهاكات تطال حقوقهم الدينية والثقافية. لا بدّ هنا أن نشير أيضاً إلى أن إمام الأزهر، أحمد الطيب، الذي دُعي مع البابا إلى حضور «منتدى البحرين للحوار»، طرح دعوة للحوار بين الشيعة والسُّنّة، مؤكّداً استعداد الأزهر لتبنّي ذلك المشروع. هذه الدعوة الأزهرية تحمل في طيّاتها إشارة إلى ملك البحرين، الذي ما زال يقود صراعاً مع مُواطنيه الشيعة، ويعتقل علماءهم ويهجّرهم وينتهك مؤسّساتهم ودُور عباداتهم. إنها رسالة لا تقلّ أهمّية عن كلام البابا فرنسيس، وكأنه يقول لخَمد: «اللقاء بدل المواجهة» أكثر نفعاً وأقلّ ضرراً، والتفاهم مع مُواطنيك من الشيعة ليس عدماً. إن الذي لم يكن يتمنّاه الملك أنْ يسمع «التقريع» المبطّن في قصره، وهو الذي أراد أن يكتسب من هذا الحضور الرسولي، الشرعية لإجراءاته وسلوكه، وإخفاء صورة القمع السائد.

بالعودة إلى الانتخابات، وهي استحقاق كان يُفترض أن يشكّل منطلقاً للتصحيح السياسي فيما الملك أرادها بطريقته، فقد جاءت «عرجاء تزيد الطين بلّة»، حيث بلغ عدد المعزولين سياسياً قُرابة 100 ألف مواطن ترشُّحاً وانتخاباً، وكلّهم ينتمون إلى الجمعيات المعارضة التي حلّتها الحكومة، وهو رقم لا يستهان به ضمن عدد سكّان البحرين، والبالغ بحسب إحصاء 2021، 1.748 مليون، نصفهم من الأجانب، والمنع هنا مُخالف للصكوك والشرعة الأممية، عوضاً عن دستور البلاد الذي يضمن حقوق المواطنين في المشاركة في إدارة الدولة عبر مُمثّليهم في المجالس المنتخَبة. الانتخابات في البحرين تأتي مُفصّلة على مقاسات النظام وعلى هواه، ووفق حسابات سياسية، متجاوزةً بذلك إرادة المواطنين، ومجلّيةً التمييز بينهم.

يَسمح النظام للعسكريين من «قوة دفاع البحرين»، ومنتسبي وزارة الداخلية والحرس الوطني، بالتصويت، وهو ما يُسهّل توجيههم لصالح فئات مقرّبة منه. وبحسب التقديرات، يصل عدد العسكريين إلى 59 ألفاً في الكتلة الانتخابية، فيما المعايير الدولية تُحيّد العسكريين ولا تُجيز لهم المشاركة في التصويت. واشتكى، منذ يومين، مترشّحون في المحرق ومدينة حمد، من قيام جهات نافذة في الدولة بتوجيه قطاعات العسكريين للتصويت لمرشّحين محدّدين في بعض الدوائر، بما يكشف قدرة النظام على رسم صورة البرلمان. تستفيد السلطات، أيضاً، من أعداد المجنسين الذين تمّ تجنيسهم لغايات سياسية، سواءً كانوا في البحرين أو في خارجها، والذين يبلغون عشرات الآلاف، وهذه الكتلة يتمّ توظيفها بسهولة. كذلك، أوجد النظام «لُعبة المراكز العامّة»، وهي مختلفة عن المراكز الرئيسة، وعددها 10 موزَّعة في مناطق متعدّدة في البلاد، وسبق له أن استفاد من الأصوات المُوجَّهة أو المجهولة التي جاءت منها في أسقاط مترشّحين محسوبين على المعارضة، كما في منطقة المحرق في انتخابات عامَي 2006 و2010. واستبق الملك الانتخابات، قبل شهر، بإصدار مرسوم بتعديل اللائحة الداخلية للبرلمان، أطاح من خلاله ما تَبقّى من صلاحيات للأخير، ومَنحها لرئيس المجلس على حساب النواب، وبذلك يكون البرلمان أشبه بمجلس الشورى الذي يعيّن الملك أعضاءه الأربعين، وهُم لا يعصون رغباته وأوامره. أمّا على المقلب الآخر، فتَكشف برامج المترشّحين في الانتخابات الحالية، التركيز على تقديم الخدمات وغياب مسألة الحكومة وسرقة المال العام وإيغال النظام في التطبيع مع الكيان الصهيوني.

على أيّ حال، الانتخابات في البحرين هي إفراز حقيقي للأزمة السياسية التي تهيمن على البلاد منذ عام 2011، بما يجعل البرلمان سبباً من أسباب استمرارها وليس حلّاً لها، بخلاف ما هو في الكويت القريبة حيث تُعدّ الانتخابات تصحيحاً للمشهد السياسي، بخاصة الأخيرة التي وصل فيها المعارض أحمد السعدون من جديد إلى رئاسة مجلس الأمة. هكذا، يجد كثير من البحرينيين أن لا قيمة للانتخابات، وهو ما أكدته كبرى المرجعيات الدينية في البحرين، آية الله الشيخ عيسى قاسم، المُهجَّر قسراً خارج البلاد، بتشديده على أهمية المقاطعة، واعتبار التصويت مشاركة في إذلال «شعبٍ واعٍ ومتحضّر ولا يُقاد قود الأبقار»، وهي رسالة أخرى ثقيلة المعنى والمُراد.

* عضو «جمعية الوفاق» البحرينية المعارِضة

فلسطين

أربعة أعوام على «حدّ السيف»: المعركة الأمنية لا تنحسر

على رغم القفزة الكبيرة التي حقّقتها المقاومة الفلسطينية في عملها الأمني إثر إحباطها أكبر عملية خاصة لقوات الاحتلال داخل قطاع غزة عام 2018، إلّا أن المقاومة لا تزال تتحسّب لأعمال أمنية كبيرة في القطاع، من مثل اغتيال شخصيات فيها، وخصوصاً في ظلّ تقدير العدو أنخراط أفراد من «حماس» و«الجهاد» في تزكية حالة الاشتباك في الضفة الغربية المحتلّة

غزة - رجب المدهون

بعد أربعة أعوام على إحباط المقاومة الفلسطينية أكبر عملية خاصة لقوات الاحتلال داخل قطاع غزة، لا تزال مخاطر محاولة العدو تنفيذ أعمال أمنية جديدة في القطاع حاضرة في ذهن الأجهزة الأمنية للمقاومة، على الرغم من الردع الذي تحقّق بفعل

> **عملية «حدّ السيف» كانت بمثابة نقلة نوعية في العمل الأمني للمقاومة**

إفشال تلك العملية. وكشفت المقاومة، في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني عام 2018، قوّة خاصة تابعة لهيئة أركان جيش الاحتلال «سيريت متكال» مؤلّفة من 15 عنصراً، كانت قد تسلّلت عبر السياج الحدودي تحت ستار الضباب إلى غزة، مُستخدمةً مركبة مدنية في المناطق الشرقية من خانيونس جنوبي القطاع. واكتُشفت الوحدة من قِبل قوّة أمنية تابعة لـ«كتائب القسام»، الجناح العسكري لحركة «حماس»، بقيادة الشهيد نور بركة، حيث قامت القوّة بمحاصرة المركبة التي تحمل جنود العدو، ثمّ عملت على التحقّق منها. وفيما حاول الجنود الفرار بعد كشفهم، استمرّ مُقاتلو «القسّام» في مطاردتهم والتعامل معهم حتى الخطّ الحدودي، وأوقعوا في صفوفهم خسائر فادحة، أبرزها مقتل قائدهم، الضابط الإسرائيلي، محمود خير الدين، الذي كان مشهوراً بلقب «ميتي».

وتصف مصادر في المقاومة، في حديث إلى «الأخبار»، «عملية حدّ السيف» بأنها كانت بمثابة نقلة نوعية في العمل الأمني للمقاومة في قطاع غزة، وذلك بعد سيطرتها على كنز استخباري، مكّنها من تفكيك العديد من منظومات التجسّس التي زرعها الاحتلال لتستهدف شبكة الاتصالات الخاصة بها، إضافة إلى أجهزة تجسّس في أماكن أخرى».

وبحسب المصادر، فقد أدّى كشْف الوحدة الخاصة الإسرائيلية، وتفكيك الكثير من المعلومات حولها، إلى «تبيّن الكثير من أساليب وأسرار النشاط الأمني والاستخباري لجيش العدو داخل القطاع، وأبرزها محاولاته التجسّس على منظومة الاتّصالات العسكرية للمقاومة، إذ تمكّنت الأخيرة من مراجعة الكثير من الإشارات والمعلومات لديها، وقارنتْها مع ما اكتشفتْه، ما ساهم في تشكيل صورة أشمل عن أعمال سابقة قام بها الاحتلال في غزة». وكشفت المقاومة، خلال الأعوام الثلاثة الماضية، عدداً من أجهزة التجسّس الخطيرة التي زرعها العدو في عدد من مناطق القطاع، مُستهدفاً الاتصالات الخاصّة بها، بالإضافة إلى بعض الأهداف العسكرية والقيادية، بهدف التجسّس عليها والحصول على معلومات تتعلّق بنشاطها. وبفعْل هذه الجهود، باتت أجهزة أمن الاحتلال تجد صعوبة في إنفاذ خططها في غزة، في ظلّ قبضة مشدّدة لأجهزة أمن المقاومة ضدّ العملاء، إضافة إلى تحسين الأخيرة جهودها في مجالات الحرب السيبرانية والإلكترونية.

ويعود جزء كبير من الفضل في ما تقدّم، إلى عملية «حدّ السيف»، التي استطاعت المقاومة من خلالها إماطة اللثام عن بنية تحتية كاملة كانت مُعدّة لعمل مستقبلي للقوات الخاصّة الإسرائيلية داخل القطاع، وفق ما كشفته مصادر المقاومة لـ«الأخبار»، العام الماضي.

مع ذلك، وبعد مرور أربع سنوات على العملية، تتحسّب المقاومة لعمل أمني إسرائيلي جديد في غزة، في ظلّ مؤشرات وتقديرات لديها تفيد بأن الاحتلال قد يذهب نحو تفعيل خيار اغتيال شخصيات من فصائل القطاع، على صلة بإذكاء العمل العسكري في الضفة الغربية المحتلّة، بحسب مصادر فصائلية تحدّثت إلى «الأخبار». وارتفعت وتيرة التحريض الإسرائيلي، خلال الفترة الماضية، تجاه أفراد من حركتَي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» في غزة، على خلفية تحميلهم المسؤولية عن تحريك خلايا المقاومة ودعمها في الضفة، وهو ما عزّز المؤشّرات إلى إمكانية استئناف العدو أعماله الأمنية في القطاع.

تصف مصادر في المقاومة «عملية حدّ السيف» بأنها كانت بمثابة نقلة نوعية» (أ ف ب)

تقرير

«هَبّة» بيونغ يانغ الصاروخية: استثمارٌ في الصدْع العالمي

تبدو شبه الجزيرة الكورية مقبلةً على مزيد من التوتّر في المرحلة المقبلة، في ظلّ إصرار كوريا الجنوبية وحليفتها الأميركية على استخدام سلاح المناورات والتدريبات، في محاولة لردْع الجارة الشمالية ومنْعها لا من تطوير السلاح النووي فحسب، بل من استخدامه أيضاً. ولعلّ هذا التحوّل في سياسة الردع، مردّه استمرار بيونغ يانغ في تجاربها الصاروخية، وتطويرها إيّاها، على رغم استراتيجية العقوبات والضغط، والتي يبدو أن كوريا الشمالية عرفت كيف تقفز عليها، بالاستفادة من دعم روسي - صيني، تدور التقديرات الغربية حول تعزّزه في الآونة الأخيرة

بتول سليمان

شهد الأسبوع الماضي توتّراً غير مسبوق منذ نحو خمسة أعوام في شبه الجزيرة الكورية، على إثر التحرّكات العسكرية الجديدة لكلّ من الكوريتَين الشمالية والجنوبية. إذ نفّذت الأخيرة، بمشاركة الحليف الأميركي، تدريبات عسكرية، استُدعيت خلالها القاذفة النووية الاستراتيجية «B-1B»، وهو ما ردّت عليه الأولى بإطلاق صواريخ باليستية ونشْر طائرات حربية، لتعود وشنطن وسيول وتردّان بإطالة أمد المناورات يوماً إضافياً. وعلى الرغم من أن العديد من المسؤولين الأميركيين، الحاليين والسابقين، شكّكوا في نجاعة هذا الأسلوب، بدليل أن الصواريخ التي جرّبها الشمال، قبل أيام، لديها القدرة على حمْل رؤوس نووية قصيرة المدى، ما يعني أن الأهداف العسكرية الرئيسة في الجنوب، بما فيها القواعد العسكرية الأميركية، تُعدّ في مرمى نيرانه، إلّا أن الولايات المتحدة تبدو مصمّمة على تبنّي خيار التدريبات العسكرية، والذي يبدو أنه لم يَعُد هدفه الرئيس، أقلّه مرحلياً، منْع بيونغ يانغ من تطوير أسلحة نووية، بقدْر ما هو لجمها عن استخدامها، وفق ما لمّح إليه وزير الدفاع الكوري الجنوبي، لي جونغ سوب. يأتي ذلك فيما بدأت تعلو أصوات غربية بالمطالبة بـ«التركيز على الاتفاق مع بيونغ يانغ لتقليل خطر نشوب صراع في شبه الجزيرة الكورية، حتى لو كان ذلك بمثابة قبول ضمني بأن الشمال سيستمرّ في امتلاك أسلحة نووية»، وفق ما يقول الكاتب في صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية، كريستيان ديفيز.

ويُعدّ هذا التوجّه الجديد دليلاً إضافياً على فشل استراتيجية العقوبات والضغط الدبلوماسي المتّبعة من قِبَل واشنطن وحلفائها، في ثنْي بيونغ يانغ عن سياستها النووية، وهو ما يطرح تساؤلات كثيرة حول خلفيات هذا الفشل. يعتقد سو كيم، المحلّل في مؤسسة «راند»، بأن ثمّة «دعماً روسياً وصينياً لتسهيل الالتفاف على العقوبات، واختراق برامج العملات المشفّرة من أجل الاستمرار في تطوير البرنامج النووي الكوري»، وفق ما نقل عنه وكالة «أسوشيتد برس» الأميركية. وهو اعتقاد يوافق عليه المحلّل في «المعهد الكوري للتوحيد الوطني» في سيول، هونغ مين، الذي يرى أن «الحرب الروسية في أوكرانيا فتحت على ما يبدو فرصة جديدة لكوريا الشمالية، لنقل التكنولوجيا الروسية والإمدادات اللازمة لتوسيع قدراتها العسكرية». وعلى الرغم من أن كلّ عملية إطلاق تكلّف كوريا الشمالية ما بين مليونَي وعشرة ملايين دولار أو أقلّ بقليل، إلّا أن التكلفة العالية لا يبدو أنها تشكّل حاجزاً بالنسبة إلى قيادة البلاد، على الرغم من التباطؤ الاقتصادي، وهو ما يعزوه تقرير «أسوشيتد برس» إلى رغبة بيونغ يانغ في انتزاع تنازلات مستقبلية، فيما يذهب البعض إلى أن الشمال بات يرى في أسلحته النووية «الضمانة الوحيدة للحفاظ على سيادته». وفق ما يؤشّر إليه حديث كيم يو جونغ، شقيقة الزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ أون في آب الماضي، حينما ردّت على عرْض الرئيس الكوري الجنوبي، يون سوك يول، مساعدة بلادها اقتصادياً مقابل التخلّي عن السلاح النووي، بالقول إن «أحداً لا يتخلّى عن مصيره في مقابل كعكة ذرة».

على أن هذا التصعيد الشمالي لا يبدو منفصلاً عن مجمل السياق الدولي، بالنسبة إلى راشيل مينيونغ لي، المحلّلة

> **البيان المشترك بين الصين وروسيا كان بمثابة نقطة انعطاف للقيادة الكورية الشمالية**

في موقع «نورث 38»، «ليس هناك تصرّفات دولة تحدث في فراغ، والأمر نفسه ينطبق على كوريا الشمالية، لهذا السبب، وبدلاً من الردّ على إجراءات بيونغ يانغ أو تحليلها بشكل مجزّأ، من المهمّ فحص خلفيّة الإجراءات الشمالية، والتي يتمّ على أساسها تشكيل تصوّرات البلاد واتّخاذ القرارات وتنفيذها». وتلفت مينيونغ لي، في مقال نُشر أوائل هذا الشهر، إلى أن الدلالات على تقرّب بيونغ يانغ من بكين «تتزايد بشكل مطّرد ومتّسق في السنوات الأخيرة»، محتملةً أن يكون البيان المشترك بين الصين وروسيا، والذي صدر في الرابع من شباط الماضي، قد مثّل «نقطة انعطاف للقيادة الكورية الشمالية»، التي رأت، على ما يبدو، في هذه الوثيقة، ترجمة لـ«عالم مجزّأ بشكل متزايد، تتضاءل فيه قوة الولايات المتحدة ودورها على المسرح العالمي». ولعلّ ذلك التقدير انعكس بوضوح في خطاب كيم أمام مجلس الشعب الأعلى في أيلول الماضي، حيث قال إن «التحوّل من عالم أحادي القطب إلى عالم متعدّد الاقطاب يتمّ تسريعه بشكل كبير». وأيضاً في إعلان وزير الدفاع الكوري الشمالي، تشوي سون هوي، نيّة بلاده إجراء «عمليات استراتيجية وتكتيكية منسّقة مع الجيش الصيني». أمّا بخصوص العلاقة مع روسيا، فقد بعث كيم، في 15 آب، برسالة إلى بوتين أشاد فيها بتنامي «التعاون الاستراتيجي والتكتيكي والدعم والتضامن» بين البلدَين، فيما حمّلت موسكو، أخيراً، واشنطن المسؤولية عن تفاقم الوضع في شبه الجزيرة الكورية، لرغبتها في «إجبار بيونغ يانغ على تزْك سلاحها». بناءً عليه، ترصد مينيونغ لي تحوُّلاً في اتّجاهيْن: الأوّل تَراجُع كوريا الشمالية عن الرؤية التي رسمها الرئيس السابق، كيم إيل سونغ، تجاه الولايات المتحدة عام 1994 (حيث تمّ تطبيع العلاقات واتّفق على التفاوض بشأن نزع النووي)؛ والثاني، ذهاب بيونغ يانغ نحو الاعتقاد بأن «تطبيع العلاقات مع واشنطن لا طائل من ورائه، وأن من الممكن ضمان المصالح الاقتصادية للبلاد من خلال التوافق مع الصين وروسيا».

بالنتيجة، يرى مراقبون أنه سيكون أجدى للولايات المتحدة وحلفائها تقديم عروض جديدة لكوريا الشمالية، لإقناعها بأن «المفاوضات - على عكْس المرّات السابقة - ستصّب في مصلحة النظام الكوري الشمالي على المدى البعيد». غير أن هؤلاء يستبعدون تحقّق مثل هذا السيناريو في ظلّ حُكم جو بايدن في الولايات المتحدة، وحُكم «المحافظين» في كوريا الجنوبية، واللذين يصرّان على التفكير من «داخل الصندوق»، من دون الاستفادة من تجارب أسلافهما، ما يعني أن شبه الجزيرة الكورية سيشهد مزيداً من التوتّر في المرحلة المقبلة.

تقرير

مفاوضات الحلّ الليبي: مساعي الإقصاء تصعّب الانتخابات

طرابلس ـ الأخبار

يبدو، في أعقاب سلسلة اللقاءات والنقاشات الموسّعة التي قادها المبعوث الأممي الجديد إلى ليبيا، عبد الله باتيلي، أن رحلة البحث عن مسارات جديدة للحلّ دخلت مرحلة حاسمة. وعلى رغم أن الملفّ الليبي لم يَعُد أولوية لدى أطراف عديدة، يُجري رئيس المجلس الرئاسي، محمد المنفي، جولات مكّوكية لتحقيق توافق إقليمي حول بعض المسائل العالقة، كان آخرها مباحثات أجراها في شرم الشيخ مع الرئيسَين المصري والإماراتي، إلى جانب وليّ العهد السعودي، من دون أن تُسفر حركته عن نتائج واضحة إلى الآن. وتتمثّل واحدة من تلك المسائل في محاولة بعض الجهات فرْض قيود على مَن يحقّ لهم الترشّح في الانتخابات، وهو ما شُرّع قانونياً الأسبوع الماضي، عبر تصويت «المجلس الأعلى للدولة» بالإجماع على منْع العسكريين ومزدوجي الجنسية من الترشّح في الانتخابات، في ما قد يكون من شأنه حرمان اللواء المتقاعد، خليفة حفتر، من خوض السباق. وفيما يدافع رئيس «الأعلى للدولة»، خالد المشري، بشراسة عن ذلك القرار، مدفوعاً برغبته في إقصاء حفتر من المشهد السياسي، يتولّى رئيس البرلمان، عقيلة صالح، المنافحة عن مصالح حليفه.

ومن شأن الخلاف المتقدّم أن يقلّل التوقّعات من اللقاء المرتقب بين المشري وصالح في تركيا خلال الأيام المقبلة، والذي يأتي استكمالاً لمباحثات أجراها رئيس «الأعلى للدولة» في القاهرة في الأسبوع الحالي، وتناولت ما جرى التوصل إليه في مناقشات المغرب السابقة. وبحسب مصادر مصرية وليبية متطابقة، فإن ثمّة اعتقاداً بأن المسار الأسرع للحلّ حالياً، هو التوافق على القاعدة الدستورية التي سيتمّ بموجبها إجراء الانتخابات الرئاسية، على أن تُعقد هذه الأخيرة بالتزامن مع تلك البرلمانية، وهو ما تُدفع في اتّجاهه مصر والجزائر والمغرب، ولا تُعارضه تركيا، ويحظى بدعم أممي. لكن المشكلة الرئيسة التي تُواجه هذا المسار، هي وجود رغبة في إزاحة بعض الشخصيات بطرق متعدّدة، فيما التسوية المتداول بها للمعضلة المُشار إليها، هي إيجاد تفاهمات يقدّم فيها كلّ طرف تنازلاً واضحاً.

في غضون ذلك، لا يزال الانقسام قائماً بين رئيس الحكومة المكلّف من البرلمان فتحي باشاغا، ورئيس «حكومة الوحدة» عبد الحميد الدبيبة، الذي استقبل السفير الأميركي في ليبيا، ريتشارد نورلاند، واتّفق معه على الإسراع في إجراء الانتخابات، بينما شدّد نورلاند على أهمية توفير الإمكانات التقنية للعملية الانتخابية، والتي لا تتطلّب أكثر من إرادة سياسية لا تزال غير موجودة حتى الآن. جاء هذا في وقت عزّز فيه الدبيبة نفوذ حكومته عسكرياً، عبر تعيين قائد ميليشيا الأمن المركزي، عماد الطرابلسي، وزيراً للداخلية بالتكليف، تقديراً منه لما بذله الأخير خلال الفترة الماضية في «حفظ الأمن في طرابلس»، وخاصة دوره في قيادة التحرّكات العسكرية التي دفعت باشاغا إلى الانسحاب من العاصمة عند محاولته دخولها. على أن ثمّة أسباباً أخرى دفعت الدبيبة إلى تصعيد الطرابلسي، في مقدّمتها سعيه للتوسّع في سياسة الاستقطاب القبلي، وخاصة في ما يتعلّق بمحاولة إحداث انقسام داخل القوات الموالية لباشاغا، والتي ينحدر معظم أفرادها من مدينة الزنتان، الآتي وزير الداخلية منها أيضاً.

تحاول بعض الجهات فرْض قيود على مَن يحقّ لهم الترشّح في الانتخابات (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4171

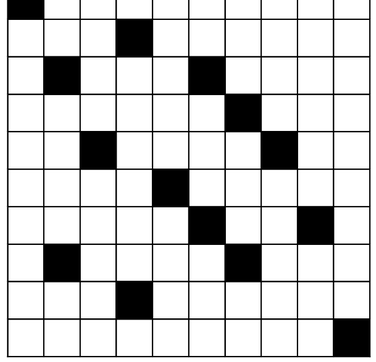

أفقيا

1- موسيقي وممثل مصري راحل – 2- دولة أفريقية – مئة سنة – 3- من يمارسون البيع والشراء – صنعة – 4- ظرف مكان – دولة آسيوية – 5- حرف نصب – وقت ماض بسرعة – قلب الإناء على رأسه – 6- عملة أجنبية – يتفوّق – 7- ورك – حيطان تلفّ القصر – 8- مقام في الموسيقى الشرقية – مدة طويلة – 9- يرميهم بالحجارة – علة – 10- أديب لبناني راحل

عمودياً

1- الرجل الثاني في العراق أبان حكم الرئيس الراحل صدام حسين – 2- خط دفاع فرنسي شهير خلال الحرب العالمية الثانية – رف من الطيور – 3- من الفاكهة – مدينة صينية – 4- نبأ – عيب – شحّ ماء النهر – 5- نعم بالأجنبية – رجل تقوى – دأس بالسيارة – 6- عكسها آلة هندسية تُرسم بها الدوائر – أتكلم بصوت خفيّ – 7- مدينة أوكرانية – 8- يجمع بين القول والعمل – الإسم القديم لدولة ميانمار – 9- لبن – عاصمة أفريقية – ثرى – 10- شاعر سوري راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- روزفلت – عنب – 2- أبو سنبل – قر – 3- راز – عقيق – 4- أسيد – سارق – 5- لطخ – روبي – 6- تل – سيخ – بصل – 7- مندوب – كد – 8- واتو – يلم – 9- روفني – بترا – 10- قوس النصر

عمودياً

1- راس التنورة – 2- وبّ – سطل – او – 3- زوريخ – متفق – 4- فساد – سنونو – 5- لنز – ريد – بس – 6- تب – سوخوي – 7- لعاب – بلبل – 8- قريب – متّن – 9- نقيق – صك – رص – 10- برق – الدبار

sudoku 4171

		2		3				
	6	3				5		7
7		9		1			2	6
4				8			5	
	5				9		6	
	1	8	6		7			4
8		5				4	1	
	3			7				
	9		5		8		7	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4170

4	2	5	7	3	8	9	1	6
9	6	3	2	4	1	8	5	7
1	8	7	5	9	6	4	2	3
6	7	4	1	5	2	3	9	8
3	5	8	9	7	4	1	6	2
2	1	9	8	6	3	7	4	5
8	9	2	6	1	7	5	3	4
7	3	1	4	2	5	6	8	9
5	4	6	3	8	9	2	7	1

مشاهير 4171

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتب ألماني (1808-1874). أحدث ثورة في دراسة العهد الجديد والأديان القديمة

11+10+8+4+2 = دولة عربية ■ 9+6+7+5 = تفاقم المرض ■ 3+1 = آلة موسيقية

إعداد نعوم مسعود

حلّ الشبكة الماضية: ابراهيم رمزي

وفيات

ذكرى

إنا لله وإنا إليه راجعون
لمناسبة ذكرى وفاة فقيدنا الغالي **الحاج حبيب مصطفى حرب (أبو محمد)** والد الشهيد محمد حرب
سيُقام مجلس فاتحة ومجلس عزاء حسيني وذلك في مجمع المجتبى السان تيريز يوم الثلاثاء 2022/11/15 من الساعة الثالثة إلى الرابعة والنصف بعد الظهر.

إعلانات رسمية

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت ميرا عصام عيتاني وكيلة محي الدين محمد جمعه شعبان سند تمليك بدل ضائع للعقار 5/2266 القبة.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

مبوب

للإيجار

شقة للإيجار سوبر دولوكس 260 م2 مقابل قصر الصنوبر، أول أوتوستراد قصقص 550 $ شهرياً موقف سيارتين ومياه ساخنة 70658216 - 76834352

الأخبار
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

البلاد

ونقاوم

من «الكف الأسود» إلى «عرين الأسود»

زاهر أبو حمدة

سراً، غادر القائد متجهاً إلى دمشق. هدفه تأمين السلاح والمال، ولذلك التقى المفتي محمد أمين الحسيني. وفي طريق العودة استراح قليلاً في قرية صانور (قضاء جنين)، قرر مع رفاقه المبيت في مغارة داخل القرية النائية غير المكشوفة للعدو. لكن قوات الاحتلال البريطاني علمت بمكانه. أرسلت له الدبابات وقوة كبيرة من المشاة، فحاصرت صانور من كل الاتجاهات وبدأت عملية تفتيش قاسية واعتقالات واسعة وإطلاق نار عشوائي. خاف القائد على شعبه، وقال كلمته الشهيرة: «أأكون قائداً وجباناً؟!». اشتبك الفدائيون مع المحتل، نفدت ذخيرتهم، فاستشهدوا. مات القائد عبد الرحيم الحاج محمد، فدُفنت «الثورة الفلسطينية الكبرى» في شتاء 1939، بعد ثلاثة أعوام من القتال وحرب العصابات وشن الغارات ضد العصابات الصهيونية والاحتلال البريطاني.

قبل ذلك بعشرة أعوام، أسس الفدائي أحمد طافش، فصيلاً من 30 فلسطينياً في صفد أسماه «الكف الأخضر»، وذلك لمواجهة العصابات الصهيونية الناشئة التي تحاول السيطرة على الأراضي الزراعية بمساعدة الاحتلال البريطاني. وشهدت صفد في تلك الفترة صدامات دموية بين الفلسطينيين واليهود، وكالعادة تشن القوات البريطانية حملات اعتقال وقتل لحماية اليهود ودعمهم. استطاع أعضاء «الكف الأخضر» المطاردين الاختفاء في منطقة جبلية تسمى وادي الطواحين. ومن تلك النقطة بدأت هجمات التنظيم ضد المستوطنات الصهيونية في الجليل. فحاول الاحتلال الانتقام، واعتقل الإنكليز عدداً من مقاتلي «الكف الأخضر»، وتمكن طافش وبعض رفاقه من الهروب إلى الأردن، وهناك اعتقلته السلطات وسلمته للإنكليز فحكموا عليه بالإعدام. لكن الحاضنة الشعبية هبت في تظاهرات وإضرابات شاملة بقيادة الصحافي أكرم زعيتر، فخفضوا الحكم إلى المؤبد بدل الإعدام.

في تلك الفترة الهامة من تاريخ الشعب الفلسطيني، ظهر الشيخ عز الدين القسام، وكان التنسيق واضحاً مع «الكف الأخضر». ومع أن التنظيم تشظى بين اعتقال واغتيال، إلا أن القسام استعان ببعض أفراده لتشكيل خلايا نائمة وناشطة في مدن وبلدات متعددة. وفي حارات التنك شرق حيفا، انطلق فصيل غامض، غالبية كادره من العمال الكادحين المنتمين إلى «جمعية الشبان المسلمين» الناشئة على يد القسام. تعددت التسميات له مثل «جمعية مجاهدي سوريا» و«جمعية التسليح»، لكنه عُرف بعد ذلك بـ «الكف الأسود».

نفذ فدائيو «الكف الأسود» أول عملية في ربيع 1931، وكانت مؤثرة جداً حيث كمنوا لمركبة تقل مسلحين يهوداً في طريق ياجور (قضاء حيفا). فقتلوا ثلاثة وجرحوا أربعة. ولم يُصب أي من الفدائيين المهاجمين. وكانت استراتيجية التنظيم تنفيذ عمليات ضد الأهداف الصهيونية والبريطانية متباعدة زمانياً ومكانياً، فكانت العملية الثانية في الصيف، والثالثة مع بداية الشتاء من العام نفسه. والأهم أن سلسلة العمليات كانت نوعية من دون ترك أي دليل أو أثر. لكن في شهر كانون الثاني 1932، وأثناء إطلاق المقاتلين النار على مستوطنة نهلال (أول مستوطنة صهيونية عمالية في فلسطين) قرب مرج بن عامر، تركوا بصمات أقدامهم في الطريق بسبب الأوحال. وبالتالي وصل الاحتلال إلى قرية صفورية (قضاء الناصرة) حيث اعتقل المجموعة وكانت بقيادة خليل العيسى المُلقب بابي إبراهيم الكبير وهو أحد مساعدي القسام.

كُشف عدد من خلايا التنظيم، وشن الاحتلال البريطاني حملات تصفية واعتقال للأعضاء، لكن التحقيقات فشلت في التوصل إلى القائد العام للتنظيم، أي القسام. وعلى أثر ذلك قرر الشيخ تجميد العمل العسكري للتنظيم لعامين ونصف حتى يستطيع إعادة البناء والتسليح ولحماية بقية الأعضاء غير المكتشفين. وفي فترة وجيزة شكل «الكف الأسود» حالة ثورية كبيرة، وحاز على شعبية واسعة وسط الفلسطينيين لا سيما العمال والفلاحين. وكانت بيانات التنظيم تحمل أهدافه وتوجهاته، وخطة عمله الصريحة حيث توجهت إلى الناس العاديين بالفتاوى الدينية والتحريض والتعبئة لمقاومة المحتل وأعوانه، ولمنع بيع أي من الأراضي، والانتباه من عمليات الاحتيال القانونية والإغراءات المالية ومقاطعة البضائع الإنكليزية والتجار اليهود. وكذلك حملت البيانات تهديدات مباشرة للمحتل البريطاني وجميع السماسرة، وكل من يشارك في صفقات الأراضي. وانضم إلى «الكف الأسود» أكثر من 200 مقاتل، وقادهم سرور برهم وأحمد عبد المعطي نوفل، لكن الفصيل لم يستمر طويلاً بسبب اغتيال الاحتلال البريطاني للشيخ القسام عام 1935. لكن تلامذته استمروا في القتال وأسسوا مجلساً عسكرياً للثورة بقيادة الحاج محمد، حين بدأت عام 1936. وكانت الأرضية مهيأة، واتبع الثوار أسلوب ربط المركز الفاعل (حيفا) مع نقاط ارتكاز في الريف، حيث رأى القسام أنه المكان المناسب لانطلاق الثورة المسلحة منه. وعلى هذا الأساس توزعت الخلايا الثورية، وتقليداً للشيخ أرخى المقاتلون «القساميون» لحاهم، حتى عُرفوا باسم «المشايخ» قبل الثورة، وبعد استشهاد الشيخ لُقبوا بـ «إخوان القسام». وكان أشهرهم الشيخ فرحان السعدي، محمد صالح الحمد، يوسف أبو درة، صبحي ياسين، توفيق الإبراهيم، وحسن سلامة. واعتمد المقاتلون (وصل عددهم إلى 14 ألف مقاتل)، على حرب العصابات كركيزة أساسية، وهي الهجمات المحدودة والكمائن المضمونة وتفادي الالتحام بالجيش البريطاني لعدم تكافؤ العتاد. وتقسمت فلسطين إلى 11 منطقة عسكرية يقود كل بقعة شخص لديه الصلاحيات بتقدير الموقف وإعطاء القرارات المناسبة بالعودة إلى المجلس العسكري العام أو من دونها.

خاض الفلسطينيون الثورة الكبرى بقوة في خلال ثلاثة أعوام، فاستشهد أكثر من 5 آلاف، وجُرح ما يقرب من 15 ألفاً. واغتالت القوات البريطانية قيادات الثورة أو اعتقلت بعضهم ونفت جزءاً منهم. واستطاع الخرق الأكبر أن يدخل إلى المجلس العسكري فاختلف القادة في ما بينهم في محطات كثيرة، فكانت مقتل الثورة. ووفقاً لـ «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» فإنه مهما كانت التنازلات البريطانية المقدمة عبر «الكتاب الأبيض» لمصلحة مطالب الثوار، ومهما كانت مكاسب الفلسطينيين جراء الثورة، سرعان ما تجاوزت العمليات الجيوسياسية الكبرى للحرب العالمية الثانية جميع هذه المكاسب، في حين ترك الهجوم البريطاني - الصهيوني على الحياة السياسية والاجتماعية الفلسطينية خلال الثورة، إرثاً ثقيلاً وطويل الأمد. ويعتقد مؤرخون فلسطينيون

> **إذا بعد «الكف الاسود» كانت الثورة الكبرى، وبعدها هزيمة 1948 واحتلال البلاد، فهل بعد «عرين الأسود» ستشتعل انتفاضة او يضم الاحتلال الضفة كلياً؟**

أمثال البروفيسور مصطفى كبها والدكتور عادل منّاع ان فشل الثورة الفلسطينية الكبرى في تحقيق أهدافها مهد الطريق للنكبة حيث وصل الشعب الفلسطيني عام 1948 نازفاً خائر القوى بسبب خسائره الباهظة في الثورة الكبرى.

ومما لا شك فيه أن العقدين الثالث والرابع في القرن الماضي تركا أثراً على سيرة الشعب الفلسطيني وصيرورة ثوراته وهبّاته وانتفاضاته. فالثورة الفلسطينية المعاصرة عام 1965 استنسخت التجربة أو بعضها، وكذلك الفصائل اللاحقة مهما كان توجهها الفكري والسياسي. وفي خلال العقود الماضية ظهرت على الساحة الفلسطينية مجموعات قتالية تشبه «الكف الأسود»، مثل «الفهد الأسود»، «أيلول الأسود»، «النجم الأحمر»، «النسر الأحمر»، «صقور فتح»، «فهود الكتائب».. الخ. وفي غالبية الأحيان كانت شتات فصائل سياسية انتهت أو انبثقت من أجنحة عسكرية أو هي مبادرة فردية من شخص التف حوله جمع من المقاتلين.

وفي مقارنة بسيطة، يتضح أن مجموعة «عرين الأسود» الناشئة في نابلس بداية العام الحالي، تشبه كثيراً تجربة «الكف الأسود» بغض النظر عن اختلاف الحقبات والواقع الجغرافي والسياسي. ثلة من الشباب المتحمس صنع مساراً جديداً في بيئة حاضنة إلى حد كبير. وللأسف استطاع الاحتلال الوصول إلى قيادة التنظيم بسرعة قياسية لأسباب تكنولوجية وأمنية. لكن المتفائل يمكن أن يركن إلى التحديث والتجديد في البنية الهيكلية لـ «عرين الأسود». أما المتشائم ينظر إلى التاريخ، ويسأل: إذا بعد «الكف الأسود» كانت الثورة الكبرى، وبعدها هزيمة 1948 واحتلال البلاد، فهل بعد «عرين الأسود» ستشتعل انتفاضة أو يضم الاحتلال الضفة كلياً؟ لا إجابة حقيقية. لكن الواقع يشير إلى أن «عرين الأسود» تلقى ضربة قوية، ويمكن لمجموعات غير ملتحقة به أن تستعير الاسم والشعارات للمتغيرات الدولية والإقليمية وكذلك الفلسطينية والإسرائيلية أن تؤدي إلى مسار متغير وبالتالي مصير مختلف ويكون الانفجار الضخم في فلسطين. وحينها سيذكر التاريخ أن إبراهيم النابلسي، وديع الحوح، محمد العزيزي، عبد الرحمن صبح، تامر كيلاني، وغيرهم مهدوا الطريق لتحول كبير. ولأن الإنسان وفقاً لجبلة بدنه له بصمة خاصة: بصمة عين، بصمة إصبع، بصمة صوت. ولا يمكن أن يتطابق شقي التوأم بذلك. أما بالبصمة الفلسطينية الجماعية يمكن أن تتطابق، تتكامل، تتوافق، تتقارب، لكنها لا تتباعد كثيراً.

المطارد عندما يحين الاشتباك

موسى جرادات

أعطى المطارد في التجربة الفلسطينية، طوال سنوات المقاومة، ضد الاحتلال، صورة البطل الأسطوري الملتحم والمضحي، من أجل خلاص شعبه، لهذا عمل الاحتلال بكل جهد للتخلص من المطارد، عبر تنفيذ عمليات الاغتيال، والتي تعددت وتنوعت فيها الأساليب، لكن بقيت للمطارد حكايته، فالاغتيال المادي والقتل لم يمنعا من حضوره الفعال في الرواية الفلسطينية، فهو الملهم دوماً في إعادة صياغة الملحمة، والمواجهة، بعدما تجذّر في الوجدان الشعبي.

ماذا يعني ان تصبح مطاردا للاحتلال؟

على امتداد سنوات المواجهة مع الاحتلال، أدّى المطارد أدواراً كبرى، تعدّت حدود العمل العسكري المباشر، فهو ابن بيئته وحاضنتها الشعبية، وهو سليل أجيال، تناقلوا التجربة، وحملوا عبئها، وجاهروا بالتحدي والوعي النقيض للاحتلال، على الرغم من انكسارات في موازين القوى، الماثلة دوماً لمصلحة الاحتلال. ومع هذا اختار المطارد هذا الطريق المحفوف، بكل أنواع المخاطر، فالنتيجة التي تصاحب هذا الفعل كانت دوماً ما بين لحظة الشهادة، أو الأسر أو الاعتقال. لكن هذا الأمر لم يمنع من استمرار هذه التجربة، وبقائها حتى هذا الوقت، فالمطاردة كانت دوماً خياراً حراً، اتخذه المطارد، حمل فيه عبء المواجهة عن شعبه، فلا غرابة أن يكون حضوره في الرواية الفلسطينية حضوراً مميزاً، فهو «الشهيد الحي» من لحظة المطاردة حتى لحظة الاستشهاد وما بعدها، تعدّدت التسميات، «المطارد» «المطلوب» «الفدائي» «الشهيد الحيّ» كل تلك التسميات كانت تصبّ في خانة البطولة المطلقة، فهو التنين الذي خرج ليهزم الصياد، كما أطلق على تسميتها الأسير زكريا الزبيدي، في رسالته الماجستير التي حملت عنوان «الصيّاد والتنين: المطاردة في التجربة الوطنية الفلسطينية من 1905–2018» تحت إشراف الدكتور عبد الرحيم الشيخ، والتي نالها قبل أشهر من جامعة بير زيت، حيث وثّق تجربته الشخصية طوال سنوات المطاردة التي عاشها، والتي عايشها وعاشها لحظة بلحظة، ففي هذه التجربة التي وثّقها، كفكرة وفعل وهدف، لخّص فيها تجارب المطاردين. صحيح أن لكل تجربة خصوصيتها، لكن تجارب المطاردين عموماً متشابهة إلى حد ما، فالميدان واحد، والعدو واحد، والهدف أيضاً واحد.

في التجربة

على امتداد سنوات المقاومة في الداخل وفي الخارج، سعى الاحتلال للتخلص من النخبة الفلسطينية الفاعلة، سواء كانت تعمل في حقل الفعل العسكري أو السياسي، وحتى الفعل الثقافي والإعلامي، فبالنسبة إليه، الجميع يحملون راية المقاومة، يبشرون بالأمل، ويدفعون بزمنه، ليحضر زمن أصحاب الأرض، هذا المسعى للتخلص من هذه النخبة سلك كل الطرق، تعددت فيه الأساليب وتنوعت، طالت كبار القادة، وحتى صغارهم، تحت بند الإجهاز على الفاعلية الفلسطينية، قبل أن تتحول إلى مدّ جارف، استخدم كل الوسائل لتحقيق أهدافه، جمع بينها، استخدم الطائرات الحربية، والسفن، استعان بكل الوسائل التكنولوجية المتاحة له، وظّفها في خدمة هذا الفعل، من دون أن يخضع فعله لأيّ قانون إنساني. القانون الوحيد، هو قانون التوحش، فلا اعتبار لدول، أو مؤسسات، أو جماعات، ولا وعود وتعهدات. قائمة المطلوبين الفلسطينيين الذين اغتالهم الاحتلال طويلة جداً، ومن كل فعل كان الاحتلال يجاهر بفعلته، وأحياناً يتفاخر بها ويحتفل، ومع هذا بقيت الحالة الفلسطينية الثورية حاضرة، تتغذى وتعتاش وتتواصل لتستمدّ هذا الزخم، الحاضر في أزقّة المخيمات والقرى والمدن الفلسطينية موجة بعد موجة، يحضر فيها الشهداء الذين جرى اغتيالهم عبر ذاكرة حية يمثّلها المطاردون اليوم في أزقة مخيم جنين وأريافها، كما نابلس وكل المدن الفلسطينية؛ فالصياد لم يعد يواجه فرداً محاصراً، إنه أمام ظاهرة عصيّة على الانكسار، كل الأدلة تؤكد ذلك، طالما أن هذه الظاهرة كانت ولا تزال وسوف تبقى رافعة للعمل الكفاحي، فهي إبداع من صنعها؛ فيها «المثقف المشتبك» أمثال كنفاني والأعرج، وفيها القادة المؤسسون، عرفات وياسين وأبو علي والشقاقي، فيها الطبيب المشتبك، الرنتيسي وأبو التين، فيها عباش المهندس، ظاهرة المطارد ظاهرة حية وفاعلة، جاءت لترد على كل محاولات أسر الواقع والسيطرة عليه من قبل الاحتلال، ظاهرة تحمل رسالة واضحة تقول: مهما عظمت تجليات الاحتلال في المشهد الفلسطيني، فالحلول حاضرة وجاهزة، على الرغم من الثمن المدفوع لأجلها، خياراً مصحوباً بقناعة وعزم ووعي، ظاهرة جماعية مصحوبة بالتفاف جماهيري، وإجماع وطني وحدوي، يعزّزه استمرار هذه التجربة حتى هذا الوقت، تنظر ولا ينظر إليها، يطابق القول فعلها، في ميدان المواجهة والقتال، فيها محمد الضيف يدخل منتصف العقد الرابع من المطاردة، في جغرافية صغيرة محاصرة ومطوقة، أسيرة من كل الجهات، تخضع للمراقبة جواً وبراً وبحراً، ومع هذا فهو الغائب الحاضر في كل المواجهات، يحضر دوماً فيها، عنواناً للبقاء.

في الميدان

مع كل استشهاد مطارد، تطرح أسئلة كثيرة، تتعلق بكيفية نجاح الاحتلال في الوصول إليه، هذه الأسئلة تتداخل أحياناً ويتعدد أصحابها، منهم المشكك في التجربة ونجاحها، ومنهم الحريص والغيور عليها، لكن تبقى الأسئلة خالية من أي معنى، طالما كان أصحابها يجهلون حقيقة الميدان، المطارد في التجربة الفلسطينية، أسير محيط جغرافي ضيق، لا يتعدى حدود بيئته المجتمعية، تختلف من ريف

> **فعل المطاردة، جاء بالاصل نتيجة لمقاومة للاحتلال، فهو فعل هجوم قبل ان يكون فعل دفاع**

إلى المدينة والمخيم، لكنها تمتاز بحيّز جغرافي صغير وضيق، وغالباً ما يكون محيطه مطوّقاً ومراقباً طوال الوقت، فيما الاحتلال يستعين بالحيلة، عبر تخفّيه بلباس مدني، مستعيناً بكل أدوات تكنولوجيا المراقبة، مصحوباً بقواته الخاصة، التي أعدّها خصيصاً لتلك المواجهة، ومع هذا في أحيان كثيرة، يتلقى خسائر بشرية معلنة وغير معلنة، يتكتم ويتألم ليبقى «صياداً» ناجحاً وفق زعمه، في مواجهة التنين الفلسطيني القابض على الجمر، صراع على الصورة، لإثبات من الأقوى في تلك المواجهة، هو يرى المطاردين خارجين عن قانونه، في المقابل المطاردون يرونه طارئاً عن كل قوانين الحياة.

المطارد والمطاردة

الأولى بفتح الراء والثانية بكسرها، ثنائية تصح في هذه التجربة، في الأولى يبحث الاحتلال عنه، لقتله أو أسره، الثانية يبحث عنهم لقتالهم. فعل المطاردة جاء بالأصل نتيجة لمقاومته للاحتلال، فهو فعل هجوم قبل أن يكون فعل دفاع، يدرك فيها المطارد، بفتح الراء، أن لحظة الشهادة لحظة متوقعة منذ البداية، فعله هو بالأصل شهادة، وقتاله استشهاد، المواجهة العسكرية مع قوات الاحتلال بحدّ ذاتها كسر لكل العلوم العسكرية، ففي الحالة الفلسطينية لا يوجد أماكن آمنة، لا الجغرافيا تتيح ذلك، ولا الإمكانات المادية، ومع هذا تستمر المعركة وتمتد وتأخذ زخمها رغم كل الإمكانات الشحيحة المتاحة، في مواجهة إمكانات كبرى متاحة لعدوّه، رسالته صغيرة متواضعة في الفعل، لكنها كبيرة في المضمون والهدف مشاغلة الاحتلال في كل نقطة جغرافية، منعه من الاستقرار، إجباره على دفع ثمن احتلاله لأرض، فإن تعذّر فعل التحرير اليوم، الإبقاء على المقاومة كعنوان حاضر، يحمي الرواية الفلسطينية من التلف والنسيان، ويأخذها إلى مجراها الطبيعي، حيث يكون الاحتلال تكون المقاومة، فيها يحضر الفلسطيني، وخارجها يغيب ويغيب؛ وتغيب معه القضية.

«الفصل الأطول في حياتنا»

مطر عدوان

«الشهيدُ يُحاصرني كُلّما عشْتُ يوماً جديداً ويسألني: أين كُنتَ؟»

«حالة حصار» ـ محمود درويش

مع كل يوم جديد، هناك شهيد جديد، يسألني «أيـن كـنـت؟»، وفي كل مرة، لا أجد إجابة حقيقية ترد على السؤال..

يرحلون لنبقى، لكنهم يفعلون شيئاً آخر في رحيلهم، بأن يتركونا في حيرة، من أين ابتدأ الكلام، كلامهم، وهل حين انتهى فعلهم، انتهى الكلام.

يكون الشهيد بيننا واحد عادي، لا تدرك في ملامحه، حكاية غير عادية، لكنه الشهيد، بعد أن يستشهد، يغير كل شيء، نتذكر ضحكته، وملامح وجهه، صورة له، نرى في كل شيء، ما يدل على أنه كان سيكون شهيداً.. كيف حملت تلك الملامح كل تلك التأويلات، من أين أتت؟ لن يعرف أحد، فالشهادة تضع نفسها في تاريخ الشهيد منذ ولادته، وتعيد رسمه وتشكيل حياته في وعي الذين عرفوه، والذين سيعرفون بعد استشهاده من صورة وبوستر وقصة ووصية يتركها لنا جميعاً.

كان ياسر عرفات كما وصفه محمود درويش «الفصل الأطول في حياتنا». كان حلمنا القديم، وحلمنا المتجدد بإمكانية تحقيق شيء على الأرض، أرضنا «فلسطين الجديدة» التي تبعث بأولادها وأحرارها من أحلام العالم بدمارها النهائي، وبقاء المسلسل الممل الذي وضعوا ممثليه فيها، وسموه «إسرائيل». ظل عرفات والشهداء الذين تقدموا وسيقدمون على مذبح فلسطين، حكايتنا الأساسية في الحياة مع أسرانا، ومع كتاباتنا المستمرة عنهم، حتى يتحقق لهذه الكتابة أن تستشهد أيضاً على مذبح الوطن، كما استشهد غسان كنفاني، وكما استشهد ماجد أبو شرار، وكما استشهد باسل الأعرج، وكما استشهد محمد الدرة، وكما استشهد باسل عودة، وكما استشهد من استشهد من قبل، وكما سيستشهد يوماً مطر عدوان كاتب هذا الكلام. إن حقيقة أن نكون جميعاً شهداء، إن لم نسلم بها، كأبناء شعب فلسطيني وعربي وعالمي يؤمن بحرية فلسطين، لن نتحرر، ولن نحظى بالأرض التي يزاود من أجلها كثر، ويزاود عليها كثر.

إن فلسطين، لن تكون إلا لمن ينتمي إليها إيماناً في القلب يصدقه العمل، فهي لأولئك الذين في أقاصي الدنيا ويؤمنون بها، لأولئك الذين في قريها وياتون حدودها ولا هم لهم إلاها، وهي لأبنائها في الداخل والخارج.

أتذكر قبل سنوات، حصار المقاطعة، مقر الرئيس الشهيد أبو عمار، والحالة التي انتابت المخيمات، حالة الخوف على الأب الذي سنفقده إن لم نفعل كل شيء، وكان كل شيء يمكن فعله، هو التظاهر، على الأقل في الخارج، والذهاب إلى المقاطعة لفك الحصار في رام الله، كان الانتظار طويلاً، كانت كنيسة المهد محاصرة أيضاً، كانت الانتفاضة، وكان مخيم جنين يقاوم القصف والحصار، كان كل شيء محاصر، كما كل شيء محاصر اليوم، لكن ثمة فروقات، منها أن الشعارات في تلك السنوات كانت قليلة، بينما اليوم، كل الكلام شعارات، حتى إنها لم تعد طنانة، وفرق آخر، أن الفعل اليوم كما قبل، فعل لا يتطلب ضجيجاً، يجري بصمت تام، ونسمع في آخره عن شهيد أو شهيدين، أو عن المنفذ الذي تمكن من الفرار. لم يستطع عرفات النجاة في حصاره الأخير، لم تقصف المقاطعة كما قصفت أبنية وجد فيها في بيروت، ونجا، فقد اعتاد الاحتلال، وشارون المتمرس في مطاردة عرفات والخسارة، أن قصف عرفات لن ينجح، إنما الحصار للمرة الثانية، وصحيح أن شارون «نجح» هذه المرة بقتل «الفصل الأطول في حياتنا»، إلا أنه فشل في فك الحصار عن «إسرائيله» فحاصرها جدار بنوه حولهم، وحاصرتها ذاكرتنا، ويحاصرهم من قبل عرفات ومن بعده تناسل الشهداء والأسرى، يستشهد الشهيد فيولد غيره، ونراه في الصورة بعد قليل من استشهاده، وندرك أنه كان بيننا، ولكننا لم ندرك أنه ذاهب نحو حياته الجديدة، وحتى ندرك مثله، علينا أن نزرع أسماء الشهداء في تراب الورد، ليزهر «زعتراً ومقاتلين».

البلاد

تحت الاحتلال

هكذا استحال «الحارس الجديد» أخطبوطاً في الـ48

بيروت حمود

في مستوطنة «تسبوري» المقامة على أراضي صفورية المهجرة، سيجتمع على مائدة السبت يوئال زيلبرمان ووالده. الأخير سيدنّر نجله بالنهاية -نقطة الانطلاقة- لمنظمة «الحارس الجديد». قال زيلبرمان الأب إنه سيغلق المزرعة. لقد انتهى كل شيء بعدما تعرضت الأرض لـ«الإرهاب الزراعي»، تخريب وتسميم الماشية، إضرام النيران التي التهمت ثلثي أرضه. غير أن العسكري الذي أمضى سنين خدمته في وحدة «الشبيبت» البحرية النخبوية في جيش الاحتلال، سيحل منذ هذه اللحظة مكان السلطات الإسرائيلية التي «تجاهلت نداء والده»، مغلّقة أكثر من مئتي شكوى قدمها ضد «مخربين» أتلفوا مزرعته، المقامة على أراضي الفلسطينيين المهجرين، والمشتتين في مخيمات اللجوء.

لن يمضي على «النذير» سوى وقت قصير، حتى يعتلي زيلبرمان تلةً مشرفة على مزرعة والده، وهناك ينصب خيمة ويفترشها، معلقاً علم إسرائيل ومصباحاً. وفي داخل الخيمة سيتعمق الابن في قراءة إرث الرئيس الثاني للكيان، يتسحاق بن تسيفي، ونخبة من منظري «العمل العبري» أمثال أهرون دافيد غوردن، وتسيفي بن شوشان، وجوزيف فيتكين، وغيرهم. ليصوغ أخيراً الأيديولوجية التي ستحكم «الحارس الجديد» انطلاقاً من أن «حلم اليهود بالأرض والطبيعة ستخلصهم من التشوه الذي سببه المنفى لهم».

أمّا ولادة زيلبرمان غير البيولوجية، سنبدأ عندما تتقاطع ظروفه مع أون ريففين، فالأخير المتحدّر من مستوطنة «رفيفيم» تتشابه سيرته مع رفيقه؛ إذ إن الأوّل هو من الجيل الثالث لعائلة من المستوطنين الطلائعيين التي عملت في زراعة الأرض التي احتلتها وانشأت على أنقاضها مستوطنة «تسبوري»، قبل أن تدفع بابنها إلى مدرسة «معيان باروخ» المدراشية (مدرسة توراتية) التحضيرية، في «عين فرات». في إطار خدمته بالوحدة النخبوية في الجيش شهد والد يوئال هجمات على أرضه من فلسطينيين، ما دفع بالابن حتى وهو يتعلّم ويتدرب في دورة الضباط، أن يصل خلال ساعات الليل لحراسة الأرض. أمّا ريففين، فشق طريقه في تحضيرية «معيان باروخ» هو الآخر، وخدم لخمس سنوات ونصف السنة كضابط في وحدة «سيريت متكال» النخبوية في جيش الاحتلال. بعد إنهائه الخدمة العسكرية، انضم إلى مدراشية «ألون»، قبل أن يؤسس مع آخرين المدرسة التحضيرية «بني تسيون» في تل أبيب.

في ملحق نشرته صحيفة «هآرتس» قبل بضعة أشهر، حول «الحارس الجديد»، يروي ريففين، الذي ترأس والده مجلس «رمات نيفيف» في جنوب فلسطين المحتلة منذ التسعينيات وصولاً للعام 2017، أنه «كنت عائداً إلى البيت ذات مرّة، وفجأة رأيت حظيرة تشتعل. أمّا السبب فأن عائلة بدوية (فلسطينية) في قرية بئر هداج - قرب كيبوتس رمات هنيفيف- صدر بحقها قرار إخلاء، انتقم هؤلاء بحرق الحظيرة، ما أسفر عن خسائر وصلت إلى نصف مليون شيكل. تساءلت حينها هل يعقل ألا تكون الدولة حاضرة هنا؟!».

على ما يبدو سار ريفمن بمسار متوازٍ ومتشابه مع رفيقه، إلى أن أتى اليوم الذي أطلق فيه المزارع المستوطن شاي درومي، عام 2007 النار على فلسطينيين دخلوا إلى مزرعته في النقب، ليستشهد برصاصه الشاب خالد الأطرش. وعندئذ من سيدافع عن درومي؟ ريفمن! فهو محام نجح في أن تبرّئ المحكمة الإسرائيلية القاتل من دم الأطرش، فيما على المقلب الآخر كان زيلبرمان يخوض نضالاً ميدانياً واحتجاجات مع آخرين لمؤازرة درومي، انتهت بسن قانون غُرف باسم «قانون درومي» وبموجبه يُسمح لمن يتعرّض لمحاولة تخريب أو سطو على أرضه، أن يدافع عن نفسه وبصيب ويقتل «المعتدين»، من دون أن يتحمل أي مسؤولية جنائية عن جريمته. درومي نفسه سيكون له دور بارز في ما بعد بقانون «برافير» الداعي إلى تهجير واقتلاع أكثر من 40 قرية فلسطينية في النقب، ولكن لنعد إلى موضوعنا. ما علاقة كل هذا بـ«الحارس الجديد»؟ قضية درومي هي النقطة التي تقاطع فيها مساراً ريفمن وزليبرمان، عندما ربطهما مؤسس تحضيرية «معيان باروخ»، حيث درسا، إبرز إيشل. ثلاثتهم سينشئون المنظمة بعد سنوات قليلة عشرات الآف المتطوعين. أدرك الثلاثي كما يأتي في الصفحة التعريفية على موقع المنظمة الإلكتروني أنه في «مركز عمليات حراسة الأرض والمحافظة عليها، يكمن الفكر الصهيوني، وأنه بهذا الفعل يترجم حب البلاد».

حراسة الأرض، مساعدة المزارعين الإسرائيليين هي مسار متداخل، يُدعى أن الدولة العبرية تخلت عن دورها فيه، مع دلك، فإن 40 جهة رسمية إسرائيلية وغربية، بينها وزارات إسرائيلية كالأمن، والمعارف (التربية والتعليم)، والزراعة وتطوير القرية، والبناء والإسكان، والإعلام والشتات، والتراث... مروراً بـ«الصندوق القومي اليهودي»، وشركة «البيت» للصناعات الدفاعية، وسلطة الطبيعة والحدائق، وصولاً إلى «جيوش فاونديشن» و«جويش فيدراشن» وغيرها الكثير الكثير.

المنظمة في جوهرها يمينية صهيونية، غير أنها نجحت في أن تحظى بدعم القوس السياسي الإسرائيلي من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. والسبب أن هؤلاء يرون بـ«الحارس الجديد» «قاعدة لاستقرار إسرائيل وحصانتها المادية والقيمية من خلال تشغيل المنظمة عشرات الآف المتطوعين لمساعدة المزارعين في الحفاظ على مهنتهم وعملهم الفلاحي الزراعي، إلى جانب الدمج مع المشروع التربوي التثقيفي»، والأخير يستهدف المدارس اليهودية على أنواعها.

> في كانون الثاني من عام 2021 حذّرت وزير الأمن الداخلي من أن اشتعال الميدان (في مناطق الـ48) لن يكون بعيداً

أوّل اجتماع للمنظمة اليمينية المتشددة عُقد في الجليل عام 2008، كرد على «يوم الأرض» الفلسطيني، وحضره في ذلك الحين مئير هارتسون الشهير بكونه الأسطورة « شمعون بار كوخبا» الحديث، الذي قتل أربعة فلسطينيين من عشيرة الرشايدة في النقب في خمسينيات القرن الماضي، وجعل خامسهم يشهد المجزرة ليخبر ذويه بما حدث، انتقاماً لمقتل أخته شوشانا ورفيقها. في ذلك الاجتماع قال زيلبرمان أمام الحضور «العرب فقط ينتظرون أن نقول لهم أن هذه الأراضي لنا، فهم لم يفهموا بعد هذا الأمر». ومنذ ذلك الحين خرج المشروع إلى الضوء، بدعم سخي قدمه عرّاب الاستيطان في القدس، أرفينغ موسكوفيتش، بالتوازي مع فتح الصندوق المركزي لإسرائيل حنفية الأموال التي كانت تتدفق أيضاً إلى صناديق المنظمات الصهيونية المتشددة مثل «حونينو»، «اليشوف اليهودي في الخليل» و«إم ترتسو»، وبالإضافة إلى ذلك تلقت «الحارس الجديد» تبرعات ودعم من منظمات عديدة صهيونية-دينية تعتنق أيديولوجية الحاخام مئير كهانا، وتسعى إلى بناء «الهيكل الثالث».

خلال هذه السنوات، كان الحارس يحضرون بأسلحتهم إلى مزارع المستوطنين لحراستها، وينظمون مسيرات احتجاجية بوجه الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1948 انتهى بعضها بمواجهات عنيفة، رئيس الوزراء السابق، نفتالي بينت، نفسه كان أحد أعضاء لجنة في المنظمة التي ضمت وجوهاً يمينية متشددة، ولمن صار وزيراً للاقتصاد ظهر في قميص يحمل شارتها، كما أشرف بنفسه كوزير للتربية على أنشطة المنظمة. علاوة على هذا كله، عام 2012، شارك الصهيوني أرييه كينغ، (اليوم نائب رئيس بلدية الاحتلال بالقدس)، في «عيد الشجرة» بغرس الأشجار في الجليل إلى جانب ناشطي المنظمة، وصرّح حينها في مقابلة أجرتها قناة المستوطنين (القناة السابعة) أن «الحارس الجديد» هي بمثابة «قوات معزّزة، مهياة للعمل أثناء اندلاع مواجهات مع السكان العرب (فلسطينيو الداخل) في الجليل».

> نقول لهم أن هذه الأراضي لنا، فهم لم يفهموا بعد هذا الأمر». ومنذ ذلك الحين خرج المشروع إلى الضوء، بدعم سخي قدمه عرّاب الاستيطان في القدس، أرفينغ موسكوفيتش، بالتوازي مع فتح الصندوق المركزي لإسرائيل حنفية الأموال التي كانت تتدفق أيضاً إلى صناديق المنظمات الصهيونية المتشدد مثل «حونينو»، «اليشوف اليهودي في الخليل» و«إم ترتسو»، وبالإضافة إلى ذلك تلقت «الحارس الجديد» تبرعات ودعم من منظمات عديدة صهيونية-دينية تعتنق أيديولوجية الحاخام مئير كهانا، وتسعى إلى بناء «الهيكل الثالث».

التفتت المنظمة إلى ذلك، ولكي لا يظهر وجهها اليميني طالما حاول أعضاؤها نفي انضوائهم في المعسكر المتشدد، مدعين أنهم منظمة غير سياسية. ومن قال أن الإنكار لم يفلح؟ يائير لابيد بعينه، «الوسطي» وزعيم معسكر «التغييريين»، كان يتسابق ليظهر بين الحراس ويلتقط صوراً معهم. أمّا المدير التنفيذي ورئيس شركة «البيت» السابق، يوسي كارمان، فهو رئيس المنظمة في هذه الأيام، وشيلو حولاف المؤسس لشركة «NSO» صاحبة فضيحة برنامج التجسس الهجومي «بيغاسوس» هو أحد أكبر ممولي المنظمة وعضو في مجلسها.

عملياً، تحولت المنظمة إلى حالة تمثل الإجماع الإسرائيلي الذي قلّما يجتمع على شيء سوى قتل واقتلاع الفلسطينيين والعرب. وبينما تنكر «الحارس الجديد» حضورها في الضفة، كثرت الشهادات والإفادات حول حضور أعضائها في البؤر الاستيطانية لحمايتها من الفلسطينيين. وإلى جانب كل هذا، من يذكر هبة النقب مطلع العام؟ حسناً، في نهاية كانون الأول الماضي، وبداية كانون الثاني، حضر «الصندوق القومي اليهودي» إلى أراضي منطقة النقب، لتنفيذ مخطط تحريش يقضي بمصادر اراضي خمس قرى فلسطينية بدوية، في مقدمتها سعوة -الأطرش. من الذي زرع الأشجار؟ أعضاء «الحارس الجديد» هم من فعلوا ذلك، قبل أن تندلع احتجاجات عنيفة قادها الفلسطينيون في البادية جنوباً أفضت إلى تجميد المخطط.

ليس هذا كل شيء! فـ«الحملان الوديعة» التي تساعد المزارعين الإسرائيليين، وتتغلغل في صفوف طلبة المدارس من فتحة «الزراعة»، هي نفسها من لبّى نداء الشرطة الإسرائيلية التي عجزت عن الدفاع عن مستوطني اللد إبان هبة أيار من العام الماضي؛ إذ شارك أعضاء المنظمة في الدفاع عن أمن يهود المدينة، وحرسوا الشقق التي هرب منها الأخيرون، كما انشؤوا غرفة ميدانية لإدارة أعمال «المتطوعين» بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، واشتغلوا في المراقبة ورصد تحركات الشبان الفلسطينيين الذين هبوا نصرة لحي الشيخ جراح ورفضاً للاعتداءات على القدس والمسجد الأقصى، وللدفاع عن وجودهم، إثر استشهاد موسى حسونة برصاص مستوطنين.

العمود الفقري لـ«الحرس القومي»

التداخل بين «الحارس الجديد» ووحدة «حرس الحدود» العسكرية الإسرائيلية ليس جديداً؛ فقد أقيمت وحدة «الحارس» عام 2014 خلال ولاية جلعاد إردان في وزارة الأمن الداخلي، وعناصرها هم من المنظمة. وكما توضّح الأخيرة في موقعها الإلكتروني، فإن مناطق عملها في الشمال والجليل الأدنى، وهضبة الجولان. وفي النقب جنوباً، ومنطقة «لاخيش» و«رامـوت هنيغف»، والمجلسين الإقليميين «أشكول ويـواف». أمّا مهامها، فتتلخص في تسيير دوريات سرية وعلنية، نصب الكمائن، المراقبة والاستطلاع باستخدام وسائل الرؤية الليلية، نصب حواجز وفحص المركبات، والأشخاص المشتبه بهم. والقبض على المتسللين غير الشرعيين (ويضمنهم فلسطينيي الضفة وغزة ممن لم يحصلوا على تصريح دخول من الاحتلال). ومساعدة مراقبي سلطات الآثار ومنع المتاجرة بها، مساعدة سلطة الطبيعة والحدائق في مواجهة الصيد غير القانوني.

حضور «الحرس» وانتشارهم في مناطق الـ48، سواء ضمن «حرس الحدود» أو بين المزارعين كافٍ لتبديد المفاجأة عندما نعرف أن المنظمة تكاد تكون الجهة الإسرائيلية الوحيدة التي تنبأت بالاندلاع هبة أيار. ففي دعوتها الإسرائيليين للانضمام إلى مشروع «الحرس القومي» الذي أعلن بينت انطلاقته قبل أشهر، وقبيل استقالته من منصبه بأيام، وأنه ستكون (المنظمة) الخزّان الذي سيمد المشروع بالعناصر البشرية، تشير «الحارس الجديد» إلى أنها في كانون الثاني من عام 2021 «حذّرت وزير الأمن الداخلي، من أن اشتعال الميدان (في مناطق الـ48) لن يكون بعيداً، وإنّما في المدى المنظور». أربعة أشهر على التحذير الذي بحسبها استبعده وزير الأمن، اندلعت هبّة أيار. وكانت هي نفسها قد اقتربت أمام الوزير في حينه أمير أوحنا، إنشاء مشروع مثل «الحرس القومي».

ومنذ انطلاق المشروع قبل أشهر، استنفرت المنظمة لتجنيد المتطوعين له، واضعة خطة تمتد على سنتين بموجبها ستقبل خمسة وحدات احتياطية ضمن الجيش، تضم كل واحدة 1000 مقاتل سابق. سيلتزم هؤلاء بإنجاز تدريب مدته 18 يوماً، والحضور في خلال حالات الطوارئ القومية. وسيتجنّد هؤلاء عن طريق «الحرس الجديد» قبل أن تستوعبهم وحدة «حرس الحدود» التي سيعمل «الحرس القومي» من خلالها. وحتى عام 2030 وضعت المنظمة خطة بموجبها تعزز المتطوعين ليصل عديدهم إلى 12 ألف مقاتل.

إذاً، «الحارس الجديد» التي تتابع «العمل العبري» بجد، سرعان ما تحوّلت إلى عصابات عميقة الجذور في المجتمع الصهيوني الفاقد للأمن الشخصي، وعناصرها ومتطوعوها سيكونون عماد المواجهة المستقبلية مع فلسطيني الـ48. كل ذلك سيحصل حين تحين «اللحظة الحقيقة» وتندلع مواجهات على غرار الهبّة. وإلى ذلك الحين، سيتقرر من هو سيّد البلاد الحقيقي، ومن هو المستعد أن يبذل روحه فداء لها ولـ«الأرض السمرا».

أحوال غزة

المهاجرون من القطاع: آمال تنتهي غرقاً أو خطفاً

يوسف فارس

لم تفلح كل المحاولات التي قام بها مجدي عاشور، في إقناع نجله مقبل، بالعدول عن قرار الهجرة إلى أوروبا، بعد أن فقد الشاب العشريني الأمل بالحصول على أي مصدر رزق يوفر له حياةً كريمة. يغالب الرجل الخمسيني دموعه ويكمل: «حاول ولدي مراراً الحصول على مصدر دخل في غزة يوفر له حياة كريمة، وانحصر تفكيره في الأشهر الأخيرة في الهجرة من القطاع. جمعنا له مبلغ عشرة آلاف دولار بشق الأنفس، وكنا ننتظر أن نسمع الأخبار الطيبة عنه»، لكن الرحلة لم تسر كما كان يشتهي الولد وذووه، والذي غادر القطاع مع عددٍ من أفراد مدينته وأقاربه ثم انقطعت أخباره. «قبل عشرة أيام، سألني أحد أقربائي عن مقبل، أجبته بما أعرفه، فقد تعرض للخديعة على يد تجار البشر ثم انقطع التواصل به، لكنه صرعني بخبر وفاته منذ 12 يوماً بعد أن غرق مركبهم قبالة الشواطئ التونسية».

كانت السفارة الفلسطينية في تونس قد أعلنت، في 24 تشرين الأول الماضي، عن غرق مركب على متنه العشرات من المهاجرين غير الشرعيين، فيما كشفت مصادر عائلية عن وفاة سبعة شبان من قطاع غزة كانوا على المركب ذاته. وهنا يوضح الناشط الحقوقي عبدالله شرشرة، أنه، إلى جانب الضحايا السبعة، لا تزال قوائم المهاجرين المفقودين تضم أكثر من 100 اسم، فقدت أخبارهم منذ سنوات أثناء محاولتهم الهجرة خارج القطاع بطرق غير شرعية.

وقبل أيام، كشفت مصادر عائلية في مدينة خانيونس جنوب القطاع، عن غرق مركب آخر مقابل السواحل اليونانية على متنه 12 شاباً من القطاع، استطاع بعضهم النجاة، فيما بقيت أخبار خمسة منهم غامضة. الطريق إلى الموت غرقاً. لم يكن محفوفاً بأمل الحصول على حياة كريمة في القارة الأوروبية فحسب، فقد كشفت عائلة الشاب حيدر الشاعر، وهو واحد من 12 شاباً فقدت أخبارهم خلال رحلة الهجرة، أن ابنها تعرض للاختطاف في ليبيا. وبحسب العائلة، فإن حيدر كان قد غادر القطاع، برفقة ثلاثة من أبناء عمومته، في مطلع شهر شباط الماضي، قبل أن يتعرّض للخديعة من قبل «تجار البشر». يقول شقيقه محمد: «وصل حيدر برفقة شباب القطاع المهاجرين إلى الأراضي الليبية في شباط الماضي، وهناك، اختطفته ميليشيات محلية ليبية، وحاولت طوال أسابيع ابتزازنا، إذ طلبت منا دفع فدية قدرها 10 آلاف دولار، مقابل الإفراج عنه، لكننا رددنا عليهم بأننا لو كنا نملك تلك المبالغ لما سمحت لهم بالهجرة عبر البحر ولا الخروج من غزة وأنهم هاجروا هرباً من الفقر والجوع».

عقب ذلك، وافقت المافيا الليبية على إطلاق سراحهم مقابل مبلغ 500 دولار لكل شخص، إضافة إلى الاستيلاء على هواتفهم النقالة، ثم عرفنا لاحقاً أنهم قضوا إثر غرق قاربهم قبالة الشواطئ التونسية، وهم في طريقهم من الشواطئ الليبية إلى إيطاليا.

محمود المدهون، شاب تجاوز الثلاثين من العمر، كان قد خاض مجازفة الهجرة إلى اليونان، أوضح لـ«الأخبار» أنه اقتنع بفكرة الهجرة حينما شاهد عدة نماذج من الشباب الغزي نجحوا في الوصول إلى إحدى الدول الأوروبية، وتمكنوا، بعد أقل من عام، أن يحصلوا على القوى الحزبية والشعبية. وقد تكرّر الأمر العام 2017، حينما منعت إقامة بيت عزاء للشهيد مازن فقها، الأسير المحرر والقائد في «القسام»، حيث أقام ذووه بيت العزاء ليوم واحد فقط في مدينة إربد، شمال عمّان.

التهريب، هناك، دفعت مبلغ ألفي دولار، وركبنا في قارب مطاطي قديم، أنا ونحو ثلاثين شاباً عبر بحر إيجة التركي، غير أن التيارات البحرية الصعبة لم تساعدنا في الوصول إلى الضفة الأخرى، أعادنا قبطان المركب، واعداً بتحديد موعد آخر». «مضت أسابيع ولم يتبقَ لدي ما أنفق به على نفسي، ولم نلتقِ بالمهرب بعدها».

يشير الشاب أحمد مسعود إلى طرق أخرى للهجرة. يقول لـ«الأخبار»: «الطريق التي سلكها الغريق عاشور من المفترض أن تكون أكثر أماناً، حيث يسافر الشبان من خلال منسقين في القطاع إلى مصر، ومنها إلى ليبيا، ثم يسلكون الطريق بحراً إلى إيطاليا، لكن ما تكرر حدوثه خلال الأشهر الأخيرة، هو أن المهربين أنفسهم، يخونون الشبان، بتسليمهم إلى عصابات المافيا لتحصيل المزيد من الأموال على شكل فدية». ولم تكن حادثة غرق الشبان السبعة من غزة قبل أيام الأكثر صدمة، بل إنه، وقبل عدة أعوام، غرق أكثر من خمسين شاباً قبالة سواحل مدينة الإسكندرية المصرية، أثناء محاولتهم الهجرة إلى أوروبا، حيث انقلب بهم القارب ولم يعثر على جثة أي منهم ولا يزال أهاليهم حتى اليوم ينتظرون أي خبر عن مصيرهم.

شتات

عودة «أعراس الشهداء» في الأردن

كمال الجعبري

لطالما كان الأردن الأكثر تأثّراً بواقع الأحداث في فلسطين المحتلة، فهو صاحب الحدود الأكبر معها، وتقطنه النسبة الأكبر من اللاجئين الفلسطينيين وتحمل جنسيّته، أضف إلى ذلك العلاقة القوية بين العائلات والعشائر على ضفتَي النهر، والعادات والتقاليد المشتركة مجتمعياً. وإبّان موجات ومواسم المواجهة مع المشروع الصهيوني منذ بدايته، كان الأردن حاضراً في ميدان المواجهة الفعلي مع المحتل، وبعد توقيع الدولة لاتفاق «وادي عربة» التطبيعي، باتت عملية البحث عن مساحة الممكن في سياق دعم الحالة الشعبية المقاومة في فلسطين سؤالاً شعبياً ملحاً، يتصدّر المشهد الشعبي الأردني، بين الفينة والأخرى. ومن الوسائل والأدوات، الحاضرة في هذا السياق، الدواوينُ والجمعيّات العائلية.

نشأة الظاهرة

عقب نكبة فلسطين عام 1948، ونكسة حزيران 1967، وما بينهما، توافدت مئات العائلات الفلسطينية للإقامة في الأردن، معظمها أتى لاجئاً، وقليل منها أتى لغرض الإقامة. ونظراً لطبيعة المجتمع العشائري في بعض أنحاء فلسطين، كما هي الحال في الأردن، فقد حرصت العائلات الفلسطينية على كل ما يضمن استمرار الترابط بينها، وقد ترجمَت ذلك عبر عدة أنماط من السلوك الاجتماعي. في مراحل زمنية بعد النكبة، حرصت العائلات الفلسطينية اللاجئة من القرية نفسها أو المدينة على إقامة أحياء لها في العاصمة عمّان وغيرها، داخل المخيمات أو خارجها. في منطقة جبل التاج، شرق عمّان، على سبيل المثال، وجدت أحياء المحاسرة والعكارمة والعمواسية التي سكنها اللاجئون من قرى: بيت مسحير وعين كارم وعمواس، القدسية المهجرة، وفي منطقة جبل النصر. وبعد نكسة حزيران، أقام النازحون من مدينة الخليل، حي الخلايلة، وفي الوقت ذاته، بدأ العديد من الفلسطينيين بتأسيس الجمعيات التي تضم عائلات تلك القرى والمدن كافة، فأسست العائلات الخليلية جمعية «خليل الرحمن» في العام 1967، وتلاها أهل نابلس، فأسسوا جمعية «نابلس» في العام 1969.

كان الهدف في البداية الحفاظ على شيء من الكيانية الفلسطينية، والترابط بين العائلات، وذلك عبر عقد اللقاءات والمعايدات في المناسبات المختلفة، كالأعراس والمآتم، وتطور الدور الاجتماعي لها وزاد عددها، لكنها في معظم الأحيان لم تتجاوز الأدوار الاجتماعية، ما سمح لها بالاستمرار وعدم الاصطدام بالدولة، وتشكيل ظاهرة اجتماعية حظيت باحترام مكونات المجتمع الأردني كافة.

دعم المقاومة والجمعيات العائلية

في السنوات اللاحقة للنكسة، ومن ثم أحداث أيلول الأسود بين 1970 و1971، حافظت الجمعيات والدواوين على أدوارها الاجتماعية، ومع عودة العلاقات بين منظمة التحرير والدولة الأردنية في منتصف الثمانينيات، دخلت المنظمة على وتر تلك الجمعيات. ويورد صلاح خلف (أبو إياد) في أحد محاضر الاجتماعات التي حضرها عام 1984، موقفه من تأسيس ديوان عائلة القواسمي الخليلية، إذ أشاد بذلك ودعا لدعمها. ومع سنوات الانتفاضة الفلسطينية الثانية، برزت أدوار الجمعيات والدواوين في جمع التبرعات للفلسطينيين المتضررين من المدينة ذاتها، أو العائلة، في شكل من الدعم المالي للمقاومة، والذي تمنحه العلاقات العائلية نوعاً من الشرعية والحصانة المجتمعية.

ومن الأمثلة على حملات الدعم للصامدين في فلسطين عن طريق الجمعيات، ما قام به أبناء عائلة الجعبري في الأردن، عندما جمعوا المال من أبناء العائلة لترميم وإعادة بناء بيوت أبناء العائلة المتضررة من حربي عام 2012 و2014 على قطاع غزة، والتي نجحت بترميم وبناء أكثر من 15 منزلاً في حي الشجاعية. وعقب استشهاد نائب القائد العام لـ«كتائب القسام»، أحمد الجعبري، توجّه وفدٌ من العائلة للمشاركة في تأبين الشهيد خلال حفل انطلاقة حركة «حماس» في غزة.

من علاء أبو دهيم إلى «هبة السكاكين»

أنتج الواقع الفلسطيني من بعد العام 2007 أشكالاً جديدة من المقاومة، فبرزت العمليات النوعية الفردية، والهبات، وغيرها، وفي فترة ارتفع خلالها التعطش الشعبي في الأردن وفلسطين تجاه عودة تفجّر المواجهة مع الاحتلال على غرار انتفاضة الأقصى، ومع استمرار موجات العدوان على غزة، جاءت عملية الشهيد علاء أبو دهيم، من بلدة جبل المكبر، جنوب القدس، بتاريخ 2008/3/6، والتي استهدفت مدرسة «هرف» التلمودية غرب القدس، فقتل وجرح خلالها نحو 19 صهيونياً. تفاعل أبناء عائلة أبو دهيم، وعدد من عائلات جبل المكبر القاطنة في منطقة صويلح، شمال غربي عمّان، لعقد عرسٍ للشهيد، تحت عنوان «عرس الشهيد علاء أبو دهيم» وبادرت السلطات الأردنية إلى منع إقامة بيت العزاء، وسط استهجان من القوى الحزبية والشعبية. وقد تكرّر الأمر العام 2017، حينما منعت إقامة بيت عزاء للشهيد مازن فقها، الأسير المحرر والقائد في «القسام»، حيث أقام ذووه بيت العزاء ليوم واحد فقط في مدينة إربد، شمال عمّان.

وعقب تفجر انتفاضة «هبة السكاكين» وتصاعد الفعاليات الشعبية الداعمة لصمود الشعب الفلسطيني، بادرت بعض الجمعيات لإعادة إحياء سنّة أعراس الشهداء، فأقامت جمعية «خليل الرحمن»، على سبيل المثال، عرساً للشهيد محمد فارس الجعبري، الذي نفذ عملية إطلاق نار فدائية في محيط مستوطنة «كريات أربع» بتاريخ 2015/10/9، ونظم ديوان عائلة أبو سنينة عرساً للشهيد مصباح أبو صبيح، بطل عملية الشيخ جراح الفدائية، بتاريخ 2016/10/11.

عودة اعراس الشهداء

شكلت معركة «سيف القدس» عنواناً لمرحلة جديدة من الصراع، على قواعد اشتباك جديدة، ولعل أبرز شهداء المعركة، جمعة عبدالله الطحلة، الأردني الجنسية، الرملاوي الأصل، الذي استشهد بتاريخ 2021/5/12، شكّل استشهاده مفتاحاً لعودة ظاهرة أعراس الشهداء في الشارع الأردني. بعد الإعلان عن استشهاده، ظهر ذلك اليوم، توجه المئات من الأردنيين إلى منزل عائلته في منطقة ربوة عبدون، جنوب غربي عمّان، وهتفوا الهتافات المعجدة للشهيد وتم توزيع الكنافة على الموجودين. وبعد معركة «وحدة الساحات» التي خاضتها حركة «الجهاد الإسلامي» في فلسطين، واستشهاد القائد في «سرايا القدس»، تيسير الجعبري، أقامت عائلة الجعبري في عمّان عرساً للشهيد في جمعية «خليل الرحمن»، وحضر ممثلو الأحزاب والقوى السياسية، ووزراء سابقون، والسفير الإيراني في الأردن، هذا العرس.

ولكن المميّز في ما نعايشه اليوم، من عودة أعراس الشهداء، التي تصاحبت مع حالة شبه الانتفاضة التي تشهدها الضفة والقدس، كعرس الشهيد عدي التميمي، في ديوان آل التميمي، وعرس الشهيد تامر الكيلاني، في ديوان آل الكيلاني، وعرس الشهيد محمد كامل الجعبري، في جمعية «خليل الرحمن»، هو حجم المشاركة الشعبية، وحالة التفاعل الشعبي القوي معها، والتي ترجمها عددٌ من النشطاء، بالوقفات الشعبية والهتافات المعبرة عن حالة الرمزية العالية والتأثر بالشهداء الحاليين، بل وصلت الحال ببعض الجمعيات، كجمعية «عيبال» التي تضم عدداً من العائلات النابلسية، لإقامة مهرجان للشهداء. وهنا يبقى السؤال حاضراً، حول إمكانيات استغلال مساحات أعراس الشهداء، والبناء عليها لدعم الحالة الشعبية التي لا يصح وصفها بالمتضامنة مع القضية الفلسطينية، فعلاقة أهل الأردن بفلسطين تتجاوز حدود التضامن.

الأخبار
al-akhbar
السبت 12 تشرين الثاني 2022 العدد 4776

صورة وخبر

ينهمك اللبناني حسن عمّار في إنجاز «طاسة» العود في مشغله المتواضع في بلدة زوطر الشرقية (جنوب لبنان). الظروف حوّلته من عازف متدرّب في الكونسرفتوار إلى صانع أعواد. أوّل عود اقتناه للتدرّب عليه كانت صناعته رديئة و«فَرَطَ» بين يديه، ما استفزّه ودفعه إلى بدء تجاربه الخاصة لصناعة عود «محترم»، وفق ما يقول لـ«الأخبار». فشلت المحاولات الأولى، لكنّه نجح في النهاية. رغم معاندة الظروف الاقتصادية القاسية في لبنان وتحوّل الآلات الموسيقية إلى «كماليات»، لا يزال عمّار صامداً ومصرّاً على العمل بـ«إتقان». هكذا، يشتري الأخشاب الخاصة (أشهرها الأبنوس، الورد البادوك، السبروس، البوبينغا...) وينجز منها الصدر والزّند والبنجق والمفاتيح ومربط الأوتار ومضرب الريشة، لتصبح الآلة «ناطقة بالموسيقى». (علي حشيشو)

المفكرة

موعدكم مع «هو» و«هي»

■ بين 16 و20 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي، تشهد بيروت مهرجان «ما بين بين ـ In Between» (تنظيم «المجلس الثقافي البريطاني» في لبنان) الذي تتخلّله أنشطة ثقافية حول الاقتصاد الإبداعي والمسائل العالمية. يشمل البرنامج 23 نشاطاً منوّعاً بين معارض وعروض مسرحية وراقصة وتجهيزات وحفلات موسيقية وندوات وإطلاق منشورات وفرص للتشبيك، في تسعة فضاءات بيروتية مختلفة. في هذا الإطار، سيكون الجمهور منذ بداية الحدث لغاية 19 من الشهر الحالي على موعد مع مسرحية موجّهة لمن هم فوق الـ 18 عاماً بعنوان «ليذرفيس ـ Leatherface»، للمخرجة ضنا مخايل في «سينما رويال» في برج حمود. يستند العمل إلى نصّ للألماني هيلموت كراوسر (الصورة) يعود إلى عام 1994. تعرّفنا المسرحية (اقتباس وتوليف جورج هاشم ـ ترجمة طوني ميتش ـ تمثيل دانا ضيا ومحمد ياسين) على عالم الكاتب والشاعر «هو». إنّه عاشق شغوف بأفلام الرعب، تباغته عودة «هي» المفاجئة. وعندما يحاول إخفاء تصرّفاته الغريبة، تتدخّل قسوة النظام في لعبته. إنّها «قصّة حب مروّعة إلى حد ما، وعادية إلى حد ما»، وفق التعريف الرسمي للمسرحية المرتقبة. على الرغم من أنّ الحب قد يكون الموضوع الرئيسي، إلا أنّ «ليذرفيس» تدور أيضاً حول العنف الذي تمارسه سلطة تطرح نفسها على أنّها «ذات سيادة»، أو حول التصادم مع «الأنظمة القانونية للسيادة».

مسرحية «ليذرفيس»: من الأربعاء 16 لغاية السبت 19 تشرين الثاني 2022 ـ الساعة التاسعة مساءً ـ «سينما رويال» (برج حمود). الدخول مجاني. للاستعلام: 76/801020

«سينما الفؤاد»: عرض وحوار

■ يوم الأربعاء المقبل، يدعو «مركز مينا للصورة» إلى حضور عرض لوثائقي «سينما الفؤاد» (1993)، يتبعه جلسة حوارية مع المخرج محمد سويد (الصورة). إنّه من أوائل الأفلام اللبنانية التي تطرّقت إلى قصص المتحوّلين جنسياً. من خلال سلسلة مقابلات أجريت في مناسبات عدّة في بيروت، يتمحور الشريط حول الحلبي خالد الكردي (أوسكار) الذي يروي قصة العنف الذي تعرّض له من شقيقه عندما كان يعيش مع عائلته في «عاصمة الشمال السوري» بسبب تشبّهه بالنساء. حلم خالد بأن يصبح راقصة ويجري عملية تحول جنسي ليتحرّر من سجن ملامحه. يعرّج الفيلم على جوانب كثيرة في شخصية البطل. خلال عمل «أوسكار الحلبية» الشغوفة بالسينما كراقصة في الملاهي الليلية، تعرّفت إلى أحد رجال المقاومة الفلسطينية وانخرطت في عمليات فدائية في جنوب لبنان.

عرض فيلم «سينما الفؤاد»: الأربعاء 16 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي ـ الساعة السابعة مساءً ـ «مركز مينا للصورة» (بيروت). للاستعلام:
info@minaimagecentre.org

الحق في الصحة: مؤتمر بيروتي

■ على مدار أربعة أيام، شهدت بيروت أخيراً مؤتمراً بعنوان «النضال من أجل الحق في الصحة»، نظّمته حركة «صحة الشعوب» بالشراكة مع «مؤسسة عامل الدولية» و«الجامعة الأميركية في بيروت»، تخلّلته ورش عمل بحثية وإطلاق للإصدار السادس من كتاب مرصد الصحة العالمي. المؤتمر الذي عُقد بمشاركة وفود عربية وعالمية، من العاملين في المجال الصحي، افتتح بكلمة لرئيس «عامل» ومنسق عام تجمع الهيئات الأهلية التطوعية اللبنانية والعربية، كامل مهنا، ركّز فيها على سبل التوفير الحق بالصحة لكل الناس وفق نموذج يقوم على الكرامة الإنسانية: «جائحة كوفيد 19 كشفت عالماً غارقاً بالسياسات الاستهلاكية التي تنطبق أيضاً على القطاع الصحي الذي تحوّل إلى مصدر استرزاق للأنظمة والشركات على طريقة القطاع الخاص، فساهمت

في تعميق أزمة انعدام الأمن الصحي للإنسان في ظل انعدام الأمن الاجتماعي والاقتصادي لمعظم شعوب الأرض على حد سواء». وأشار إلى أنّ «فقدان الوصول إلى الحق في الصحة هو أزمة حضارية شاملة ترقى إلى مستوى القلق الوجودي العام على مستقبل الجنس البشري ومستقبل الكوكب»، مشدداً على ضرورة أن يكون الحق بالصحة «أولوية في العالم لما له من تأثير على مسار التنمية والنهوض الإنساني خصوصاً». كما اعتبر مهنا أن تدحرج الأوبئة في العالم، «لحظة مناسبة لإعادة التفكير الجماعي بالكثير من القضايا»، لا سيّما «المصير الواحد الذي تتشاركه المجتمعات الإنسانية على الأرض».

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 12 تشرين الثاني
العدد 4776 السنة السابعة عشرة
Samedi 12 Novembre 2022 nº 4776 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

خليك حاوي
«لعازر» الشعر اللبناني

عادت إليّ العاصية
وتكومت في زاوية
ثم ارتمت
تعوي على نعلي وتعول
والدموع
تنهل من رعب
له وقع الحوافر
في الضلوع
وتودّ لو كانت
تئن على يدي
كانت تطلّ عليّ
من أمسي
وتطلع من غدي
تحنو تطيع
تكيد تلسع تعتدي
ريّا الغمامة يغتلي
في غورها غلّ
فحيح المجمرة
كنتُ الشفيع
وكنت قلباً يكتوي
بضراوة حرى
ويعصى المغفرة

(من مجموعة «الديوان الأخير»
الصادرة حديثاً عن «دار نلسن»)

مجموعة جديدة في ذكرى أربعين عاماً على رحيله

خليل حاوي.... «لعازر» الشعر اللبناني

محمد ناصر الدين

«أمسي احتراقٌ/ احتراقٌ غدي/ يحترقُ الترابُ/ يحترقُ الحجرُ/ يحترقُ السحابُ». لعلّ هذا المقطع من قصيدة «سدوم» يختصر ويكثّف الأزمة الفردية والجماعية التي عاشها الشاعر خليل حاوي (1919 ـ 1982) حين أطلق النار من بندقية صيد على نفسه بعد أيام من الاجتياح الإسرائيلي لبيروت في حزيران (يونيو) 1982. لحظة افترست فيها آلة القتل والاحتلال الصهيونية البشر والناس وسط مشهد ثقافي عربي رثّ ومتهافت، في حادثة هي أكبر من أن تحمل دلالة شخصية فحسب، حتى إذا عرفنا أن محاولة الانتحار لم تكن الأولى من نوعها للشاعر الذي ينطبق عليه قول المتنبي «على قلق كأن الريح تحتي». ينطلق خليل حاوي، النقي والصافي مثل أبطال الأساطير، إلى مرحلة التضحية الكاملة والفداء بنفسه وهي مفاهيم لطالما رسّخ لبناتها في دواوينه الكبيرة مثل «نهر الرماد» (1957)، و«الناي والريح» (1961)، و«بيادر الجوع » (1965)، ليعبّر عن هموم جماعة بشرية مهدورة الحقوق ومحنة ثقافة كانت تتحرك على مرأى صليب قناص البندقية الإسرائيلية وتنسحق تحت جنازير دبابات شارون، فكان لا بد في تلك اللحظة التراجيدية من اجتراح الأسطورة والبطل والمسرح وإخراج المشهد المكتمل بطلقة «الجفت». فهو كما يصفه الشاعر شوقي أبي شقرا: «كأن هو المسرح وتلك الجملة

> خرج من نطاف الغنائية الذاتية إلى مطلق التجارب الكلية، بمفردات مشحونة بالمرامي الأسطورية والحضارية

وتلك الموجة وتلك الباردوة... وذلك الحاكم الذي رداوه الصدق إلى حدّ السيف... والذي يطفح ونحن أمامه لا نجرؤ أن نكون المثال، أن نكون هو وأن نكون وإياه في حرارة، وفي ملحمة الأسطورة وفي كونه المثال، وذلك المفرد والذي من صبغة إلى صبغة كأن يقفز على حد المغامرة وعتبة الغناء، إلى حيث البطولة الكاملة التكاوين، وحيث المغفرة لا حبث الانكفاء، ولا هو يرتضي إلا أن يهجم على المستحيل وإلا أن يصفعه على مسرح القوم ومسرح الشعراء ومسرح الذين يبحثون عن بطولة معاصرة».

كانت فترة الدراسة في «جامعة كامبردج» أساساً في ربط الشعر عند حاوي بـ «إعطاء الرؤية» . كما يقول الشاعر الفرنسي بول إيلوار . وشقّ صدر الشاعر ليحمل كرة اللهب من أحضان الآلهة وتنوير العالم بها. بعد أطروحة ماجستير حول النقل والعقل بين الفيلسوفَيْ المسلمين ابن رشد والغزالي (صدرت في كتاب عن «دار نلسن»)، وأطروحة دكتوراه حول جبران خليل جبران، لم يخف حاوي إعجابه بالرومنسيّين الألمان مثل غوته وشيلغل وهولدرلين وغيرهم. أسهم تبحره في الأدب الإنكليزي في استلهامه مبدأ الحيوية الخلاقة عند كولردج ورؤيا الخراب عند إليوت في «الأرض اليباب»، ناهيك بتكوينه المشرقي الذي مكّنه من استنطاق الأساطير والمرويات التراثية، لا سيما من الكتاب المقدس، فصاغ رؤية شعرية أدهشتنا في تعريفها للشعر على أنه «رؤيا تنير تجربة وفن قادر على تجسيدهما». خرج الشاعر من قصيدة «سدوم» بخنصر من نطاق الغنائية الذاتية إلى مطلق التجارب الكلية، بمفردات مشحونة بالمرامي الأسطورية والحضارية وقريبة أحياناً من لغة دينية كتلك التي نعثر عليها في نشيد الأناشيد، فنقع في قصائده الأولى على تلك البروق المفعمة بالأمل والتبشير بالانبعاث الروحي والحضاري: «بومة التاريخ مني ما تريد؟/ في شرايين كنوز لا تبيد/ إنّ لي جمراً وخمراً/ إن لي أطفال اترابي/ ولي في حبّهم خمر وزاد/ من حصاد الحقل عندي ما كفاني/ وكفاني أنّ لي عيد الحصاد/ إنّ لي عيداً وعيد/ كلما ضوّأ في القرية مصباح جديد». تصل النبرة النبوية إلى ذروتها القيامية في قصيدة «الجسر»: «يعبرون الجسر في الصبح خفافاً/ أضلعي امتدّت لهم جسراً وطيد/ من كهوف الشرق/ من مستنقع الشر/ إلى الشرق الجديد/ أضلعي امتدّت لهم جسراً وطيد».

اجترح حاوي أيضاً لغة نضرة وطازجة في رموزها وصورها وإحالاتها التي يساعدنا هو نفسه في تفكيك ألغازها. نقرأ في مقدمة «جنية الشاطئ»: «في خيم الفجر المشرعة للريح، والمبحرة مع الريح، تعرى الذات عن حيوية الفطرة الأولى والبراءة الأولى، والحيوية أعياد مرح تنبع من الذات الفياضة وتنسكب فيها، والبراءة حال الإنسان الأول في ظل شجرة الحياة قبل أن تغريه حلاوة المعرفة ومرارتها في شجرة الخير والشر فيطرده سيف النار من الجنة. لذلك، كانت ذات الفجرية خير رمز للحيوية المندفعة ولشجرة الحياة، ولقدرة الإنسان في حال البراءة على الاندماج بعناصر الحيوية في الطبيعة». يسبغ الشاعر على الفجرية أوصافاً رحبة معممة ترمز إلى الأرض في تجدد حيويتها وفي بكارتها الدائمة، لكن سرعان ما خفت ضوء اليقين في نفس خليل حاوي وغلبت عليه نزعة اليأس والمرارة، فناراه في القصيدة ذاتها يصوّر لنا كيف يستعصي على الفجرية في المدينة فهم الشريعة وشجرة المعرفة وتلتقي الكاهن الموسوي حارس تلك الشجرة، فيمتحنها بالنار وبشريعة لا تسري عليها ويرميها بالإثم والشرّ والمنفى فتصاب بالخرف، كان الكاهن رمز الذات والحضارة معاً في حال الاحتقان الذي يحول الحيوية إلى يأس وجنون. يتصاعد المأزق الحضاري الوجودي عند حاوي لينفجر في الطبيعة». يسبغ الشاعر على قلب قصيدته الشهيرة «لعازر» التي يمكن مقارنتها بقصيدة «بيزنطة» أو «الأرض اليباب» لإليوت بكارتها الدائمة، لكن سرعان ما خفت وقد وصف عجز المعجزة التي تقول بأنّ المسيح أحيا لعازر من الموت، لتنطلق الحقيقة المُرّة على لسان زوجة لعازر في القصيدة: «ولماذا عاد من حفرته/ ميتاً كئيب/ غير عِزق ينزف الكبريت/ مسودّ اللهيب/ ولماذا لم

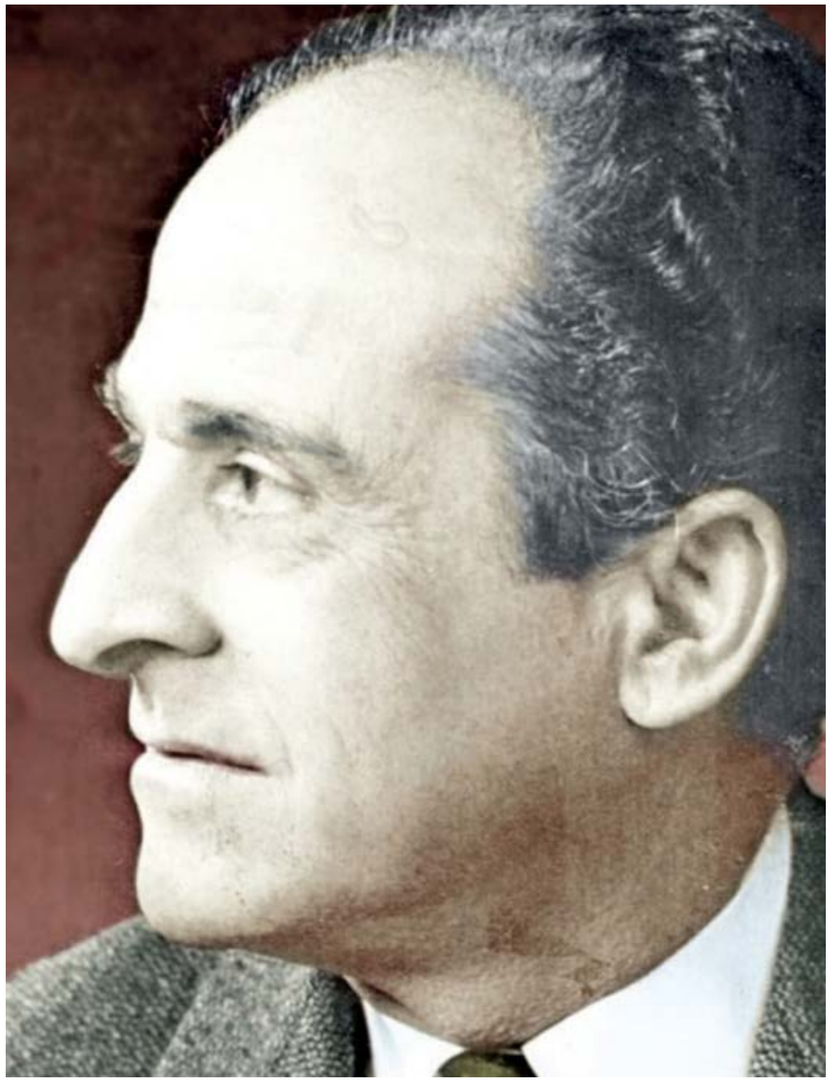

يعد يشتقّ ما في صدريّ الريان/ من حبّ تصفّى واختمر/ غيمة تزهر في ضوء القمر/ وسرير مارجٍ بالموت/ من خمر وطيبْ/ جنة الفُلك على حمى الدوارْ/ طالما عاد إلى صدري مراز/ عاد مغلولاً جريحاً لن يطيب». كان بطل حاوي قد عانى من انبعاثه من الموت، فاصطدم بحياة رأى فيها ماساة تفوق الموت نفسه، بل رأى الموت هو الخلاص من المأساة، الخلاص من «دوامة الحمّى ومن دولاب نار» ليحيا المبعوث من رميمه بشهوة الموت وصقيع الموت. كأنه لم يجد في طبيعة أرضنا ووجودنا وثقافتنا ما يستحق الانبعاث السوي.

قصائد خليل حاوي الأولى مثل قصيدة «السندباد في رحلته الثامنة»، كانت طافحة بصور الانبعاث بوجهه المشرق، فيستهلها بذكر خبر السندباد الذي يحمل صوت الشاعر، والذي كُتب عليه كما على حاوي نفسه مصارعة حضارة أخذها بالتواتر عن السلف ليتراءى له في حومة الرؤيا نداء حب ووجد: «هل دعوة للحب هذا الصوت/ والطيف الذي يلمع في الشمس/ تجسّد واغترف من جسدي/ خبزاً وملحاً/ خمرة ونار/ وحدي على انتظار»، ونرى الغلبة للحياة والخصب على الموت والجفاف، فنقرأ مثلاً في قصيدة «بعد الجليد»: «كيف ظلّت شهوة الأرض/ تدوّي تحت أطباق الجليد/ شهوة للشمس/ للغيث المغني/ للبذار الحي/ للخصب/ للعتيد/ لإله البعل تمورّ الحصيد/ شهوة خضراء تأبى أن تبيد/ وحنين نبضه يسري إلى القبر/ إلينا...». كما أن الخلاص في هذه القصيدة يتبدى على شكل أنثى: «يكفيني شبعت اليوم وارتويت/ الحلوة البريئة/ تعطي وتدري كلما أعطت/ تفور الخمر في الجرار/ بريئة جريئة/ جريئة بريئة/ في شفتيها تربد الخمر/ وتصفو الخمر في القرار/ لن يتخلى الصبح عنّا آخر النهار». فما الذي حرّك يندول الشعر عند حاوي من الأمل في «نهر الرماد»، إلى اليأس من المعجزة في «العازر»: لعلها الفجوة بين الرؤية اليوتوبية والواقع المزري واليأس من انبعاث منتظر في حياتنا العربية أو المشرقية، إذ عادة ما تحمل الانبعاثية النهضوية (كان حاوي عضواً في الحزب السوري القومي الاجتماعي) كمية هائلة من الحلم الأخاذ، وجرعة قاتلة من الحلم القاتل وتوتر صراع الأضداد. وهذا ما يقوله حاوي نفسه في مقدمته الصغيرة للمجموعة الصادرة عام 1965: «كنت صدى انهيار في مستهل النضال، فغدوت ضجيج انهيار حين تطاولت مراحله... لئن كنت وجه المناضل الذي انهار في الأمس، فأنت الوجه الغالب على واقع جيل، بل واقع أجيال، يبتلى فيها القوي الخيّر بالمحال فيتحول إلى نقيضه، ويتقدّم «الخضر» طبيعة التنّين الجلاد والفاسق».

ميزة شعر خليل حاوي هي تلك الاقتحامية الجريئة التي استطاعت توسيع المدى الشعري واللغة الشعرية، وخلق أبعاد لحركة الفكر من قلب الحركة الشعرية ذاتها، إذ حمل هذا الشعر همّاً حضارياً كان في عمقه وخطابه ومفرداته من قبلُ وقفاً على أهل الفلسفة والفكر، وأحياناً يتناوله بعض كتّاب الرواية والمسرحية أو القصة القصيرة ولم يكن للشعر فيه نصيب، بل كان ساحة محرّمة على الشعر، بزعم أنّ للشعر مجالاً خاصّاً إذا تعدّاه، خرج عن كونه شعراً أو خرج على قيمته الجمالية ذاتها، ودخل في باب العلم أو الفلسفة أو النثر. وهذا ما يؤكده الشهيد حسين مروة في تقديمه لديوان خليل حاوي (1972) عن «دار العودة»: «لقد شارك خليل حاوي مشاركة رائدة في الثورة على هذا الزعم التقليدي الباطل، فقد دقّ، بشعره، بكل ما في شعره من عناصر الغنائية والإبعاد الوجدانية، باب الحياة الفكرية والفلسفية، ودخل هموم الناس الذين يعانون كثافة هذه الحياة ومشكلاتها، ولكن بلغة الشعر ورؤياه ورموزه وإيحاءاته، وكان ذلك شاهداً بارعاً على خطأ كل تصنيف لقضايا الحياة والوجود: هذا صنف منها يصلح موضوعاً للعلم، وذاك للفلسفة، وذلك للشعر». خفتت نبرة خليل حاوي في ديوانيه الأخيرين «الرعد الجريح» و«جحيم الكوميديا» (1979) الذي استهله بجملة شهيرة لدانتي من «الكوميديا الإلهية»: «رأيت في أروقة الجحيم بشراً لا يعيشون ولا يموتون». كانت إشارة إلى ذروة المأزق الذي عاشه الشاعر جراء توحد الذاتي بالجمعي، وتصاعد المأساة التي تستوجب تضحية كان تنبّأ بها في مقدمة «الناي والريح»: «البضارة والجن يجسدان للشاعر رغبه من صمت لن يتولد عنه غير ماساة تحيله إلى مجنون متاله أو مهزلة تحيله إلى شاعر مهرج. وفي كلا الحالتين يستعيض بمعجزات وهمية معادلة لمعجزات أرادها أن تعيد خلق الواقع، وفي «النشيد الأخير»، يتحدى الشاعر الصمت الذي أرعبه ودفعه إلى سؤال البصارة عن مصيره، ويتغلب على المفجع بأفجع منه، بتضحية قد ترضي ربه، فيسعفه على الشعر بقدرة خالق».

كان انتحار خليل حاوي مدوياً ومفجعاً على قدر توقعاته ودعواته إلى التضحية: يقول الشاعر اللبناني شوقي بزيع في تناوله لتجربة حاوي في كتابه «مسارات الحداثة»: «بدت منظومة القيم التي آمن بها خليل حاوي والمغرطة في مثاليتها بمثابة نقطة قوته وضعفه في آن. لقد أوقفته عند التخوم الأخيرة للإحباطات وخيبات الأمل، حيث السقوط المدوي هو المحصلة الطبيعية للارتفاعات الفائضة عن الحدّ ولم تكن بحاجة إلى انتظار نهايته الفاجعة لكي نعرف ما قدمه على مذبح مثاليته من تضحيات، هو الذي كتب شعره بجماع طاقته وبكل ما يمتلك من كهرباء العصب وضراوة النيران». أنهى خليل حاوي حياته مثل الإله التموزي الذي يبتهل إليه في إحدى قصائده: «يا إله الخصب/ يا بعلاً يفض التربة العاقر/ يا شمس الحصيد/ يا إلهاً ينفض القبر ويا فصحاً مجيد/ أنت يا تموز يا شمس الحصيد/ نجنا، نحّ عروق الأرض من عقم دهاها ودهانا/ أدفئ الموتى الحزانى والجلامد العبيد/ عبر صحراء الجليد». كان ألهة الشعر قد استجابت لصلاة حاوي الأخيرة، إذ بعد أشهر قليلة خرجت الأرض من عقمها وأنبتت مقاومين يطردون العدو من العاصمة بجرّ أذيال الخيبة حتى إخراجه بالكامل من أرض الوطن بعد أقل من عقدين من الزمن... كانوا يستلهمون قصيدته ويعبرون «الجسر» خفافاً إلى الشرق الجديد.

مجموعة مجهولة تتسم بالتفاوت الأسلوبي

تحت عنوان «الديوان الأخير ـ قصائد غير منشورة»، أصدرت «دار نلسن» أخيراً (2022) بالتعاون مع «مؤسسة أنور سلمان الثقافية» مجموعة شعرية للراحل خليل حاوي في الذكرى الأربعين على رحيله. تضمّنت المجموعة 17 قصيدة غير منشورة مع صوَر لمسوّداتها بخطّ يد الشاعر، ورسوم داخلية بريشة التشكيلي شوقي شمعون وصوراً فوتوغرافية وبورتريهات لحاوي وأغلفة دواوينه في طبعاتها الأولى، وتضمّنت تصديراً للشاعر اللبناني شوقي أبي شقرا يتناول فيه تجربة خليل حاوي ككلّ ابتداء من «نهر الرماد» (1957) وانتهاء بالديوان «المجهول». يصف أبي شقرا حاوي بـ «الشاعر القدّوس» الذي يمتزج الشعر في سيرته بالحياة، فيستحيل بالتالي فكاك الكلمة عن صاحبها، والدراما الشعرية بكل مكوناتها عن تفاصيل حياة «لعازر» الشعر اللبناني الذي شابهت نهايته المأساوية ذروة طقوس التضحية والفداء التي وصمت مجموعاته أجمع: «لا يبكي خليل حاوي ولا هو من جماعة النبلاء ولا من قبيلة الدمعة على رحيل الذهب والفضة وباقي المعادن، ولا من القوم الذين عندهم الضوء، ضوء القنديل وضوء المعرفة وضوء القصيدة تذهب في الفيافي وفي حقول الفاكهة والأشجار في فصولها، كما وفي تحولاتها وانقلابها من نقطة هائمة في الأرض وفي ملاعب السماء، إلى حيث الهلاك والانتقال من مرحلة البدء إلى مرحلة التمرد... إنه في تاريخنا الأدبي تلك الزينة ترقص على نفخة الريح ونفخة الصدق وأسلوب التضحية، وبين أهل القلم وتلاميذ الغد الذين لا يحيدون عن أن المسرحية هي الصدق وهي عنفوان بطير وكأنه لن يتراجع عن السمت، وعن أنه هكذا لا يغلق فمه ولا يرحم الجسد بل يأخذه كلمة هي الخاتمة والمزيج والعصارة، ومن قدوس حيّ وصادق إلى ملحمة هي القدوس الجديد». لا يمكن تقصي خيط أريان اللاقط في مجموعة حاوي المجهولة، إذ إن قصائدها قد تكون كُتبت على فترات متباعدة زمنياً، بخاصة أنّ الكثير من المسوّدات لا تحمل تواريخ(بعضها كتب قبيل وفاة الشاعر والآخر مثل قصيدة «حلم ترى دنيالي» عبارة عن قصيدة قديمة نشرت في مجلة «الآداب» سنة 1953، ولم تنشر في مجموعة من قبل). كما أنّ الدار اقترحت ترتيبها بالنسق الذي ارتآته موافقاً لمزاج خليل حاوي الشعري وعوالمه الداخلية. إلا أن اللافت هو التفاوت الأسلوبي في هذه القصائد، إذ نعثر في قصيدة «عريق» القصيرة جداً على نثر صافٍ يشبه ما يسمى اليوم بقصيدة الومضة: «عاينت في الوجوه/

> يفاجئنا بخمس قصائد مطعمة بايروسية عالية وبقصيدة «رحبانية» الأجواء

وجه صبي يحمل العمر الذي أتلفه أبوه»، كأنّ كل حكمة خليل حاوي وتجربته الوجودية، قد انضغطت وتكثّفت في سطرين اثنين لا ثالث لهما. كما يفاجئنا في قصيدة ثانية بعنوان «اغتصاب بلا دنس» بجملة سياسية مباشرة لا يعثر على مثيلاتها في كل نتاج حاوي الذي يعلو فيه الشعر على السياسة والمجتمع، ويقارب الواقع بلغة مشفرة وأقنعة مستلّة من الأساطير والكتاب المقدس، فنقرأ مثلاً: «كيف تلاشى غضبي/ كيف تلاشى عتبي/ كيف التوت واستسلمت/ تلك الوجوه العاصفة/ مغتصبي/ مغتصبي/ وجه من وجوه الطائفة»، أو نعثر على نزعة انتحارية مباشرة مرتبطة بالوضع السياسي المأزوم في مكان آخر من الديوان: «فاتني الإفصاح/ أدركت محاله/ بين صمت واغتيال وعمالة/ فلأكن غير شهيد/ مفصحاً عن غصة الإفصاح/ في قطع الوريد»... أو حين يتحدث عن مآسي الوطن في التاريخ وجغرافيا التعايش الصعب بين مكوناته: فيقول في قصيدة «البنان»: «كنا جداراً يلتقي جدار/ ما أوجع الحوار/ ما أوجع القطيعة/ تغص بالفجيعة/ ما أوجع الجوار». كما يمكننا أن نقع أيضاً في غير موضع من الديوان على روح حاوي التي تزاوجت فيها الرؤيا مع الإيقاع والتوتر، كما هي الحال في قصيدة «عادت لي العاصية» التي تبدو كأنها تطل على الشاعر من أمسه فنقرأ: «عادت إليّ العاصية/ وتكوّمت في زاوية/ ثم ارتمت/ تعوي على نعلي وتعول/ والدموع/ تنهل من رعب/ له وقع الحوافر/ في الضلوع/ وتودّ لو كانت/ تئن على يدي/ كانت تطلّ عليّ/ من أمسي/ وتطلع من غدي/ تحنو تطبع/ تكيد تلسع تعتدي/ ريّا الغمامة يغتلي/ في غورها غلّ/ فحيح المجمرة/ كنتُ الشفيع/ وكنت قلباً يكتوي/ بضراوة حري/ ويعصى المغفرة». كما يفاجئنا بخمس قصائد مطعمة بايروسية عالية مثل «يا صبيّه» و«زحفت يداك» و«في منزلي»، وكذلك بقصيدة عامية هي أقرب إلى أجواء الرحابنة في عمقها وجمالية سهلها الممتنع: «شو قولكم؟ هيهات/ لمَن علينا/ تلال سودا بتهبط العتمات/ ويهبط علينا من الجبال الريح/ والثلوج كفان بيضا/ تختفي وتلوح/ هيهات يا رفاق العمر هيهات/ نحضى بكوخ وزاد وحرامات/ ناكل ونسند راسنا ونبات/ عندك مضافه بابها مفتوح/ للّي بيجي وبيروح/ شو قولكم قديش إلنا حباب/ غابوا وما رجعوا رجعة الغيّاب/ رح تلتقوا..وهونيك لما بتطل/ بيعرفوك الكل/ من دعستك/ من دقتك عالباب».

محمد...

قصة «الديوان الأخير»

سليمان بختي *

كنت متيقّناً منذ البداية بأنّ هذه الثمرات. القصائد المتفرّدة التي قرأتها هنا وهناك وتبعاً للمناسبات والملفات ستقودني إلى الحقل. كان الشاعر الراحل خليل حاوي يجترح القصائد ويكتب وينعم النظر ويطوي الأوراق لأجل ضوء جديد في سنواته الأخيرة. ولعله هذا هو «الديوان الأخير» الذي بين أيدينا اليوم. ولكن ما هي قصة هذا الكتاب؟ وكيف اكتملت عناصره وخرج إلى النور؟ حاولنا دائماً أن نجمع هذه القصائد غير المنشورة في كتاب، ولكن لم تسعفنا الظروف ولا الأيام. هذه السنة، في الذكرى الأربعين لرحيله، كانت مؤاتية بهمة عائلة الشاعر خليل حاوي وجهود جمانة حاوي ابنة شقيقه إيليا. بدأ العمل يشقّ طريقه نحو النور. جُهزت القصائد التي بلغت 19 وأغلبها بخط يد الشاعر. تعاملت مع هذه القصائد بالكثير من الخوف والرهبة والتهيب. وكان من المأمول أن يكتب مقدمة العمل ويحقق القصائد ويدققها الدكتور وجيه فانوس (1948-2022) تلميذ خليل وصديقه. لا أزال أذكر علائم الفرح والدهشة التي غمرت وجه وجيه ومبلغ حماسته واهتمامه بالكتاب. «هو أستاذي ومعلّمي وشاعري الأثير» قال. أخبرني تفاصيل جميلة عن صداقته مع حاوي. تذكر كيف زاره حين نال منحة تفوقه في الجامعة اللبنانية لمتابعة الدراسات العليا في «جامعة كامبردج». ومبلغ فرحه بها لأنها الجامعة التي تخرج منها أستاذه. قال له حاوي: «يا معلمي الأستاذ اللي علمني بجامعة كامبردج مات، خليني نشغلك محل تاني». وتحولت المنحة إلى «جامعة أوكسفورد». تذكر أيضاً وجيه فانوس كيف دخل إلى مكتب خليل حاوي في الجامعة الأميركية بعد غيابه ليحل محله في تدريس مادة النقد الأدبي، وكيف شهق باكياً حين رأى في فنجان قهوته على الطاولة تفلاً أسود. سألني عن المهلة القصوى لإنجاز المقدمة وتحقيق القصائد. فقلت: «حين تنجزها». رحل وجيه بعد أيام ولم تزل القصائد معلقة في حاسوبه. قال لجمانة حاوي وعلى طريقته: «حاسس إنو الجمعة الجاي رح شوف خليل وإيليا». أروي كل ذلك لأنه جزء لا يتجزأ من قصة الكتاب. ولاقول إنّ الأقدار تدخلت وتبدلت الطرق. استعضنا عن مقدمة وجيه فانوس بمقالة كتبها في 13 حزيران (يونيو) 2022 في الذكرى الأربعين لوفاته. وقام بتحقيق القصائد وتحقيقها الدكتور محمود شريح. وخصّ الكتاب بكلمة طيبة على الغلاف الشاعر شوقي أبي شقرا بعنوان «الشاعر القدوس». كما رافقت القصائد رسوم من الفنان شوقي شمعون. ولا أنسى التعاون بالنشر المشترك مع «مؤسسة أنور سلمان الثقافية». لذلك، أقول، إنّ ورشة كتاب «الديوان الأخير» الصادر في الذكرى الأربعين لرحيله كانت بادرة حب ووفاء لشاعر له في ذمتنا الكثير. شاعر الرؤيا، بل كل تلك الرؤى الصادقة التي تجمعت في تجربته. قصائد «الديوان الأخير» تقول لنا أشياء كثيرة، وأهمها أنّ حاوي عاش حياته وحياة أمته على وقع قصائده، وأنّه عاش على شفير كل شيء. شاعر الذات – الموضوع. شاعر الرؤيا الحضارية وشاعر ذلك التفاعل المأساوي – الخلاف مع قضايا امته.

ربما ، تتساوى قيمة هذه القصائد التوثيقية بقيمتها الفنية والعكس صحيح. لكن ثمة أهمية على صعيد آخر وهو معرفة ماذا كان يكتب خليل في سنواته الأخيرة، وماذا كانت أفكاره وأنهماكاته، وما هو الشكل الشعري الذي كان يترصده للمضامين التي عبر عنها. يبقى أنّ هذه القصائد جزء لا يتجزأ من اثاره وتجربته، وأنّها صدرت من بيروت المدينة الأحب إلى قلبه، وأنّ روح خليل حاوي وتمرده وسعيه نحو كل أمل يُحيي هذه الأمة لا يزال ينبض حاراً لاهثاً في أوراقه وفي حضوره وفي غيابه.

* ناقد وناشر لبناني

في إطار أنشطة «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب 64»، تعقد ندوة حول الكتاب يشارك فيها: محمود شريح، ربى سابا حبيب، ليس وجيه فانوس وسليمان بختي.

قصيدة «الجسر» وشعريّة العبـور

علي مهدي زيتون *

ا ـ سيمائية العنوان

يرتبط الجسر، في الحياة الواقعية، بالعبور، عبور الأنهار بشكل أساسي. فهو تخطٍّ لعقبة تعترض الطريقَ.

والنهر، رمز، ذو بعدين: أحدهما الخير والعطاء والخصب والجمال، وثانيهما اعتراض سبيل السائر والحؤول دون استمراره في السير. ولذلك، فالجسر تغييب للبعد السلبي واستبقاء للبعد الإيجابي. فهو رمز للسهولة المتولّدة عن الصعوبة، وهو إشارة

> شبكية مجازية معقدة تقدّم لنا الغضب الثوري ضد القدم

إلى التغلب على التحدّي من أجل تحقيق الأهداف. وجسر خليل حاوي يتجاوز التخطّي، ليشير إلى القطيعة بين الضفتين اللتين يصلهما الجسر. وهو خروج من وضعية مرفوضة ودخول في وضعية أخرى مقبولة ومختلفة. ولذلك، فهو تحوّل أكثر مما هو عبور. وهو لا يحمل بعداً انبعاثياً بالمعنى الدقيق للانبعاث الذي ينشده الشاعر للأمة في نصوصه. فالانبعاث يعطي طرفَي السابق (الموت) بعداً رومانسياً حالماً، خصوصاً أنّ هذا الموت سيكون نهاية الانبعاث السابق وبداية انبعاث جديد. أما الجسر فإعلانٌ طلاق، رفضٌ للضفة الأولى ورغبة في عدم العودة إليها. وهو اقترانٌ، إيمانٌ بالضفة الثانية ورغبة في الاستمرار فيها. تنقّص الجسرَ حركيةُ الانبعاث وديمومتُه، لكنه يحتفظ لنفسه من دون ثنائية «الموت/ الانبعاث» بواقعيّة الحلم. جسر خليل حاوي هو جسر الأمة إلى نهضتها، وهو يمثل موقفاً بنائياً في سياق النص، وبنائيته محورية تدور حولها جميع حركات النّص التشكيلية.

ب ـ حركة تشكّل النص والنمط السائد

يتشكل النص من أربع حركات. يظهر في مطلع حركة تشكّل النص الأولى حين يصف الشاعر نفسه بالكفاية التي تشكل مسرباً للنمط التفسيري الذي يشرح للقارئ طبيعة الكفاية القائمة على وجود أطفال أترابه وحبهم، وعلى وجود حصاد الحقل وعيده.

وتبدأ الحركة الثانية بالوصفية أيضاً، الوصفية التي تكشف التباين الحاصل بين الطفل والوالديه في طبيعة التفكير والتطلعات والرؤى. ولكنها سرعان ما تتسرب عن ساحة النص، تفسح المجال أمام الصوت الجمعي الذي نسمعه مخاطباً الذات في ما يسمى بالمونولوج الذي لا يفرض نفسه بشكل كلي على المساحة الكبيرة المتبقية من المقطع، بل يتناوب الوجود عليها مع الوصفية التي تعود مترافقة مع كل سؤال تطرحه الذات الجمعية لتشكل وصفاً للمسافة القائمة بين الجيلين.

ولا تبارح الوصفية السردية التي تحتل مطلع الحركة الثالثة، لا بل تشكل لبابها وجزءاً من بنائها: يعبرون الجسر... فلا تترك هذه السردية تنساب على رسلها تحكي لنا حركة الحدث عبر الزمان، حركة العبور من زمن الشرق القديم إلى زمن الشرق الجديد، لكنها تتداخل معها لتقدم لنا طبيعة الجسر، ضلوع الشاعر، وتصفه لنا، فهو وطيدٌ.

وإذا تداخلت في نهاية هذا المقطع كلّ من السردية والوصفية والمونولوج، فإن الحركة الأخيرة ستشكل تداخلاً خلّاقاً بين الحوار الذاتي والنمطين: التفسيري والوصفي. ولا يخفى ما لهذا التقاطع بين الأنماط الأربعة: الحوار الذاتي، والوصفية، والسردية، والتفسيرية من وظيفةٍ دلالية. فإذا عبّر تداخل الوصفية والسردية، إلى جانب التّفسيرية، عن الصراع خارجياً، عبّر المونولوج عنه داخل النفس البشرية، نفس شاعرٍ كانت أو نفس جماعة.

ج ـ المجاز والخروج على النظام اللغوي

اعتمد شاعرنا على الكناية بشكل أساسي. والكناية كلامٌ وصفيٌ يحيل إلى الدلالة بطريقةٍ غير مباشرة، عن طريق الإيحاء بها. وفي ذلك «الحَيد» الذي تقوم عليه الشعرية.

فمع ما في إنكار الطفل لكلّ من أبيه وأمه من مجاز، يخرج بالطفل عن طفولته ويتدخّل في توجيه الدلالة الأخيرة للسطرين الشعريين، إلاّ أن هذا الكلام الذي ساقه الشاعر بطريقةٍ خبرية لم يقصد به أن يقدّم إلينا معلومات لا نعرفها، أراد أن يوحي بلازم هذا الخبر، الافتراق بين جبلين: جبل الأبناء الذي تغيّر، وجبل الآباء المتشبّثين بالثبات والقدم. ولقد قدّمت لنا هذه الطريقة في التعبير، تداخل المجاز والكناية؛ دلالة احتمالية. فالافتراق غير محدّد وله صورته المختلفة في ذهن كل قارئ.

وتأتي الاستعارة في الدرجة الثانية من حيث استخدامها في النص، والاستعارة منهج شعري في التعبير، قوامه استبدال هوية المستعار منه بهوية المستعار له قصد التعبير عن دلالةٍ يعجز التعبير المباشر عن أدائها.

فهو عندما يقول:

سوف يمضون وتبقى
صنماً خلّفه الكهانُ للريح
التي توسعه جلداً وحرقا

تخرج عملية إسناد الفعل «توسع» إلى «الريح» وتعديته إلى «الصنم» بالريح والصنم معاً، عن هويتهما الموضوعية لتعطي الريح هوية الجلّاد، والصنم هويّة الضحية، ولا تثير هذه الصورة الشفقة فينا؛ لأنّ الصنم «الضحيّة» هوية فنية للجيل البائد، ولأن هذه الهوية الفنية هوية مُفلسة، أطلالٌ لرؤية الكهان الدارسة، تستحق كل الحقد والغضب اللّذين انصبّا عليها من خلال «جلداً وحرقاً». لقد استطاعت الاستعارة من خلال شبكية مجازية معقدة أن تقدّم لنا الغضب الثوري ضد القدم تقديماً احتمالياً يذهب بتصوّرنا كلّ مذهب.

أما التشبيه فيأتي في المقام الثالث من حيث تواتر صوره في النص.

والتشبيه وإن كان يسعى إلى إيجاد هوية بديلة للمشبّه، إلا أنّ حضور طرفيه باستمرار يحول دون التماهي مع الهوية البديلة. وهو مع ذلك يقوم بوظيفة دلالية لا يُستهان بها، خصوصاً في ما يتعلّق بتبادل الصفات والإشارات بين المشبّه والمشبّه به. يذكر الشاعر عقلية الجيل البائد: «طفلهم يولد خفّاشاً عجوزاً»، فهوية الطفل الموضوعية، وإن كانت حاضرة في هذه الصورة، إلا أن محاولة مماهاتها بهوية الخفاش العجوز اكتسبتها كلّ ما لذلك الخفاش من صفات أساسية تتعلّق بحياة الظلمة والخوف من الشمس، وما يوحي به ذلك من ظلامية مغرقة في التفكير. هذه الظلامية الاحتمالية التي أطلقت تفكيرنا ليتصور حركة الطفل الأدمية باتجاه الخفّاشيّة التي تستغرق ذلك التفكير ولا تنفذ.

د ـ الشيفرات الثقافية والرموز

النصّ حافلٌ بالرموز؛ بعضها خاص بعالم هذا النصّ تغذّى من لبانه حتى استوى كائناً دلاليّاً سويّاً، وبعضها ضارب بجذوره في موروثنا الديني والثقافي والتاريخي. فكلمات مثل: أطفال، وخمر، وزاد، وحصاد، والحقل، وعيد، ومصباح، والخفاش، والجسر، وكهوف؛ انتقل بها النصّ من علامات ذات مرجعيّة واقعية حسّيّة بمعظمها، إلى علامات تكثّف بعداً رمزياً مجرّداً. فالأطفال إشارة إلى النسل الجديد الخارج على كل ما يحمله الجيل البائد من أسنٍ وجمود وتعفّن. فهم صورة النهضة العربيّة المتوخاة، وهم نتاج صراع بين القديم والجديد، لا مجرّد تكاثر طبيعيّ آليّ. والخمر والزاد ليسا أيّ خمر جالب الفرح إلى القلب، ولا أيّ زادٍ مالئٍ البطن وكافٍ من الجوع. والكفاية والفرح الناجمان عنهما متوغّلان في العمق الثقافي والحضاري للأمة. وهذا ما يرتفع بالشاعر من ذاتيته إلى مرقى إنسان الأمة الحضاري، وبحصاد الحقل إلى حصاد الأمة في تاريخها السياسي والثقافي والحضاري والكفاحي.

أمّا كلمة «عيد» المتمتعة بذاكرة ممتدة إلى الينابيع، فمرتبطة بالحصاد المرتبط بالمصباح الجديد. يعني أنه لم يعد عيداً عادياً، صار عيداً متحمّلاً هموم الأمّة، متحسّساً أوجاعها، غارقاً في أحلامها السعيدة.

كيف لا والمصباح المغمّس بهذا العيد بالحصاد، ليس مصباحاً لانقشاع الرؤية أمام ناظري إنسان ما، ولكنه مصباح الهداية الذي تنقشع معه الرؤية أمام بصيرة الأمّة، ويرتبط بجدل ضدّيّ مع الخفاش الذي بات رمزاً للظلاميّة الثقافية السياسيّة الحضارية التي تربك الأمّة وتعوّقها عن دربها الصحيح.

وتتناغم كلمتا «الجسر» و«كهوف» مع كلمتي «مصباح» و«خفاش» في الدلالية الرمزيّة الخاصة بالأمّة العربية. فالجسر والمصباح درب وهداية، والخفاش والكهوف تيه وضلالة.

أما الكلمات المنتمية إلى تاريخنا الثقافي فعديدة أيضاً. يأتي على رأسها كلمات مثل: يومة، ونسْر، وعبيد، ورماد. فاليومة شؤم، والرماد زوال، والنسر قوّة، والعبيد ضعف. أمّا كلمتا «صنم» و«كهّان» فرمزان دينيان يشيران إلى العقائد الدينية البدائية، ويومئان هنا إلى تخلّف الأمّة وبدائيتها، إلى جاهليتها المستعادة. واستعادة الجاهليّة في زماننا احتفاظ بالجهل من جهة، وخسارة لتفتح الحياة الذي ترصده الجاهليّة الأمّ من جهة أخرى. وما يجدر ذكره أن كلمة «مصلوب» الحاملة لكل آلام السيد المسيح من أجل خلاص البشرية قد جفّت حتى بلغت درجة التفتت والامحاء في خطاب النص لممثل القديم. فالصلب هنا عقاب للمستقبل. وهو مرتبط بصنميّة العقليّة البائدة. يحملنا على التشفّي ممن صُلب بعكس ما يثيره صلبُ السيّد المسيح فينا.

وتتراءى لنا عبر هذا النص صورة سدوم وغيرها من المدن التي بادت بفعل النار والزيت والكبريت الذي صبّه الله عقاباً لها بما عصت ربّها. ولقد خلعت تلك الصورة بعدها السلبيّ في هذه القصيدة. فالزيت والكبريت للتخلّص مما عَلِق بالنفس وليس للإحراق، ويعني ذلك أن الشاعر قد أفاد من حصيلة العقاب الذي أنزله الله بالمفسدين لتخليص الأرض منهم، وحوّلها إلى وسيلة تبدو أكثر سهولة. هي الغسل. والغسل بالزيت والكبريت، في العمق، لا يومئ إلى البعد العقابي فحسب، لكنه يركّز ذلك البعد داخل دائرة التصحيح والتصويب التي تعيد الأمّة إلى رشدها.

ويبقى أن هذا النصّ قد ألمح إلى بعد زرادشتي حين ركّز على البرد والجليد بوصفهما بعض وجوه العذاب. فالعقاب عند الزرادشتيين يوم الحساب يكون بإلقاء المذنب في جبال الثلج والزمهرير لا في السعير. ولعلّ جبال لبنان التي عاش فيها خليل حاوي قد شابهت ببردها وثلوجها، في زمن الفقر، برد الزرادشتيين وثلوجهم التي تنتج العذاب.

هـ ـ النصّ والعالم والأيديولوجيا

يحيل النصّ إلى عالم قوامه الأمّة العربية في بُعدَيها: القائم المتخلّف، والمنشود. والبعدان قد تحوّلا عن واقعيتهما، بعدما امتدّ التحوّل إلى العلاقة القائمة بينهما، خصوصاً حين ارتبطا بذلك الجسر المحمّل بتلك الرمزيّة الشفّافة.

فالواقع القائم: موتى وخفافيش وعجائز وصديد وعبيد وسقف واحد ورماد وكهوف ومستنقع وأصنام وكهّان وبومة وجليد.

والواقع المنشود: أطفال وحصاد وحقول ومصابيح ونسور وكنوز وجمر وزاد.

أما الجسر فزيت وكبريت وبيت يتشقق وأرحام تتقطع وعروق تتمزّق. وتشكل هذه العلامات إعادة تكوين للعالم وللعلاقات القائمة في داخله. وهذه الإعادة ليست ذلك التغيّر الحاصل عن توضّع العالم في النص فحسب، ولكنه التغيُّر الحاصل بكيمياء الشعريّة أيضاً. لأنّ الشعريّة بما تقوم عليه من مجاز، بمعناه الواسع، قادرة على إخراج الواقع من موضوعيته ليُلحَق بالذات ويُصبح منتمياً إليها.

وما كان هذا الانتماء ليتم لولا أيديولوجيا الشاعر المهيمنة على رؤيته وانفعاله. والأيديولوجيا المهيمنة نفسها تخسر نفسها ونظامها حين تصير إلى النصّ. والباحث عنها في هذه القصيدة يجدها على هيئة صورٍ مُنْتَجة وعلاماتٍ تتخفّى الأيديولوجيا وراءها. والشاعر نفسه حين يصير إلى النص يفقد شخصيّته الواقعيّة ليتحوّل إلى جزءٍ من العالم الفنّي. ولن نجد خليل حاوي في هذا النصّ على كثرة الضمائر التي تعود إليه؛ لأنه صار إنسان الأمّة الأعلى المجرّد الذي يشتبك مع الجسر بضلوع وبروحيّة متوثبة مفارقة للعالم الواقعي.

* أستاذ باحث وناقد أدبيّ

بين شرق غيبي ونهضة موؤّجلة

نبيّ بلا راية

خليل صويلح

صاغ خليل حاوي بانتحاره قصيدته الأخيرة، مخلخلاً بحور الخليل ورنين الإيقاع، وخبط جناحي الطائر. كان لديه كل مفردات المعجم كي يكتبها ببندقية صيد على شرفة منزله عشية 5 حزيران بما يواكب هزيمة 1967، واقتحام الجيش الإسرائيلي بيروت 1982، على الأرجح لم يحتمل الشاعر مثل هذا العار، فأنهى حياته بطلقة في الرأس. سيرته الشخصية المضطربة تحتمل أسباباً أخرى للانتحار، لكنها لا تصلح وحدها كي تكون رافعة للصدمة. إصدار «الديوان الأخير» أعاد صورة خليل حاوي إلى الواجهة، ليس كإضافة شعرية لتجربته بقدر ما هو توثيق لميراث واحد من الشعراء التموزيين، أولئك الذين اشتغلوا في منطقة الخلاص والقيامة والانبعاث، كنسخة حداثية للشعر العربي بموازاة قصيدة ت. س. إليوت «الأرض اليباب». لكن خليل حاوي على نحو خاص، ذهب بشعره إلى تصوير وتصدير الفجيعة أكثر من سواه استجابة لجحيمه الخاص، مازجاً الأفكار الفلسفية بعنفوان المفردة الشعرية المحمولة على أزمة الذات وقسوة العيش وفجيعة الفقدان، بالإضافة إلى إيديولوجيا حزبية أربكت الإيقاع، لصلحة الوصايا أكثر منها توقاً شعرياً خالصاً.

الرحلة من القاع إلى جامعة «كامبردج» أغنت ذخيرة صاحب «نهر الرماد» بفلسفة عميقة ستنعكس على نصوصه، من موقع الضّد، وإذا بها تحتشد بكل ما هو جنائزي، كأن استدعاء مفردات الجحيم هو البرزخ نحو القيامة، كما ستنقذه الأسطورة من ضباب الطريق، لتتكشّف لاحقاً عن خراب كلّي. أحوال الحطام والهزائم والانكسارات لم تمنعه من تمجيد ما سيأتي بنبرة تبشيرية، مرّة تلو مرّة إلى أن فقد الأمل، مثلما ارتدت قصيدته إلى ملاذها الأمن لجهة اللغة المصقولة والمفردة الجامحة. ذلك أن الوصفة الأسطورية أو الرؤيوية في مجابهة فجائعية الواقع، لم تنقذ قصيدته في الخروج من مأزقها، وتالياً مأزقه الوجودي، على رغم سعيه إلى تقشير الأسطورة من رموزها المتداولة نحو «البناء السيمفوني المركّب» وفق ما يقول غالي شكري. عموماً، إن خليل حاوي شاعر تموزي من طراز متفرّد، نظراً إلى الجرعة العالية لقلقه الشخصي وغضبه وعنفوانه في هجاء الأرض الخراب. هذه المخاضات العسيرة التي رافقت مسيرته المتارجحة بين الأمل والخيبة، النهوض والانكفاء، اليقين والشك، الضوء والعتمة، انطوت على روح متوثبة من جهة، واحتضارات متعاقبة من جهة ثانية، ألقت بمشروعه الشعري والفلسفي في أتون نارٍ ملتهبة، وحرائق أحالت أحلامه في الانبعاث إلى رماد، لينكسر «الجسر» أخيراً، بين ضفتي الأمل والجحيم، سكونية «الناي» وحركة «الريح» العاصفة.

سنختزل تجربة خليل حاوي بأنها كانت حصيلة شرق غيبي ونهضة مؤجلة، وعي محتدم، وزمن منكسر. نبي بلا راية، وأحلام مجهضة، تلك هي تضاريس خريطته الشعرية التي لا تخلو من الحفر والانهدامات. ولكن بعد كل هذا الخراب، هل سيعبر الرفاق «الجسر في الصبح خفافاً» ويكملون النشيد «أَصْلَعي امْتَدَّتْ لَهُم جِسراً وطيداً. مِن كُهوفِ الشرق، مِن مُستَنْقَعِ الشَّرق، إلى الشَّرق الجَديدْ. أَصْلَعي امْتَدَّتْ لَهُم جِسراً وطيداً».

الشاعر القدّوس

محمود شريح

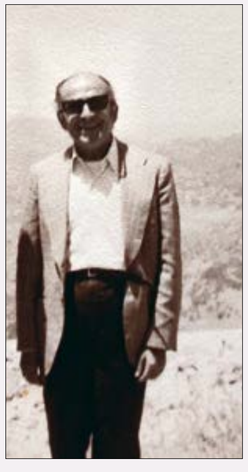

خليل حاوي في قصائده الصادرة الآن بعد أربعين عاماً على غيابه، عود على بدء. أي أنّه في كل ما حبّره منذ «الجسر» حتى «شو قولكم؟» قبل رحيله وربما آخر قصيدة له بالعامية عام 1982 هو حاوي نفسه الشاعر القدّوس كما وصفه الشاعر الملهم شوقي ابي شقرا على غلاف كتاب القصائد غير المنشورة أي «الديوان الأخير».

هو الشاعر الناقد المعلّم القومي السوري الاجتماعي الذي لم يخرج على تعاليم الزعيم قيد أنملة وهو الخارج من أميركية بيروت بأطروحة ماجستير عن العقل والإيمان بين الغزالي وابن رشد والعائد من كامبردج بأطروحة دكتوراه عن جبران في إطاره الحضاري، هو أيضاً أستاذ النقد الأدبي في الأميركية واللبنانية على مدى ربع قرن.

في قصائده الصادرة عن «دار نلسن»، ما يضيء على حاوي من جديد. استمد حاوي من التراث عناصره الحيّة، فجسّد فكرته في بناء معماري مُحكم، واعتبر أنّ الأساطير المتمثلة في التراث الشعبي تعبّر عن نفسية شعبنا وتطورها، فوازى هذا الشاعر الفريد من نوعه بين الشعر والرؤية وجاءت رمزيته متصلة وثيقاً بتجربته تماماً كما هي أسطورة أدونيس مجذّرة في تربة الهلال الخصيب.

قصيدته الأخيرة كتبها بالبندقية

«لِعازر» يعود إلى حفرته

عبد المجيد زراقط

يقول خليل حاوي في مقابلة معه نشرتها جريدة «الأنوار» اللبنانية (بتاريخ 6/9 /1982): «لمّا كان الشعر، كما عرّفته مراراً، رؤيا تنير تجربة، وفنّاً قادراً على تجسيدهما، كانت السمة التي يتفرّد بها الشعر تنحصر في تلقّي الرؤيا والتعبير عنها».

نحاول، في ما يأتي، أن نقدّم معرفة بتجربة هذا الشاعر التي تنيرها رؤياه، وتمثّلها فنّاً شعرياً، بوصفها تجربة العربي الذي كانت إشكالية الانبعاث/ القيامة/ المخلّص قضيته المركزية في حياته وشعره.

ولمّا كان هذا الشاعر: «يقول ما يقول/ بفطرةٍ تحسُّ ما في رحم الفصول/ تراه قبل أن يولد في الفصول»، أقدَم على كتابة قصيدته الأخيرة برصاص بندقيته، فماذا رأى؟ وماذا قال في هذا الشأن؟

إشكالية الانبعاث/ القيامة

> منذ أن دقّت مدافع نابليون بونابرت أبواب القاهرة، وجد العربيُّ نفسه في مواجهة إشكالية الانبعاث. كان عليه، وهو يواجه هجوماً غربيّاً استعمارياً شاملاً، طاول جميع ثوابته وقدراته وثرواته...، أن يعي ذاته، وأن يحققها. والنجاح، في هاتين المهمّتين، هو الشرط الأساس للنجاح في مهمّة مواجهة الاستعمار الغازي...

كثير من قصائده تتشكّل من مشاهد، أو من متواليات، تنتظم في بناء كلّي ناطق بدلالة كلية

لم يكد العربيُّ يسعى، منذ نهايات القرن التاسع عشر، إلى وعي الذات وتحقيقها، حتى ثبتت المعوّقات في دروبه، وتمثّلت ليس في مشكلات الواقع المتخلّف فحسب، وإنما في الآخر المستعمر، وكان على العربيّ، وهو يسعى إلى وعي ذاته وإبداعها، أن يدافع عن نفسه ضدَّ الآخر الذي كان يسعى، ولا يزال، إلى الحيلولة دون تحقيق ذلك، وإلى تشويه هذا الوعي وتهجين ذلك الإبداع.

ولكي ينجح العربيُّ، في مشروعه، كان عليه أن يمتلك قدرات الدفاع والإبداع، وهي في حوزة الآخر، المستعمر الغازي، وهذ الآخر كان يعطي ويمنع، كما تقضي مصالحه، أو كما يقتضي مشروعه الرامي إلى انتظام العربيّ في فلك التبعية والاستهلاك... لهذا كان يقدّم المنجزات استهلاكاً، ويحول دون امتلاكها إنتاجاً، وكان يجهد في تعويق النموّ وتشكّل الهويّة القومية القادرة الفاعلة.

بدأ هذا منذ أيّام محمد علي، ولا يزال...

الحلّ/ المخلّص ورموزه

يقتضي حلُّ هذه الإشكالية، كما رأى شعراء الحداثة – الروّاد وجود مخلّص يُحدث الانبعاث، والخصب والتحوُّل والنماء... وهذا ما دفع إلى استخدام الأسطورة، والرمز – الأنموذج المعادل، في الشعر العربي، في المرحلة الأولى من مراحل الحداثة الشعرية العربية.

كان خليل حاوي أحد روّاد استخدام الرموز الشعرية، ومبدع نماذج معادلة جديدة، تجاوز بها ما قدّمه الاطّلاع على الأدب الغربي، وخصوصاً شعر ت. س. اليوت وترجمة «الغصن الذهبي» لفريزر، فاستخدم رموزاً تراثية سورية وعربية ودينية مسيحية وإسلامية، وكان هذا التفرُّد وليد تجربة حياتية وشعرية فريدة.

التجربة الحياتية

أتيح لخليل حاوي أن ينشأ في بيئة جبلية قاسية منفتحة؛ إذ ولد في بلدة الشوير الواقعة في أعالي المتن، وأن يتلقى التعليم في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، في مدارس دينية مسيحية، وأن ينقطع عن التعلّم، وهو في الثانية عشرة من عمره، ليعمل في عدة مهن منها: إسكافي، معاون معلّمي العمار في القرى، مترجم...، كي يعيل أسرته بعد مرض أبيه، وأن يجيد لغات أجنبية، منها : الفرنسية والإنكليزية، وأن يعود إلى تحصيل العلم، وهو في السابعة والعشرين من عمره (عام 1946)، فينجح في الثانوية العامة، في سنة واحدة، وينال البكالوريوس في الفلسفة من «الجامعة الأميركية» في بيروت، والماجستير من الجامعة نفسها، وموضوعها: «العقل والإيمان بين الغزالي وابن رشد»، والدكتوراه من جامعة «كامبردج» في لندن ، وموضوعها: «جبران خليل جبران: إطاره الحضاري وشخصيته وآثاره»، وأن يمتلك ثقافة شاملة وعميقة، وأن يعمل أستاذاً للأدب العربي في الجامعة الأميركية في بيروت، ويرئس الدائرة الأكاديمية العربية فيها، وأن ينخرط في النشاط الحزبي – السياسي الاجتماعي في مرحلة قومية سورية اجتماعية، ثم في مرحلة قومية عربية، وأن يمارس كتابة الشعر الشعبي، وأن يحبّ أديبة هي القاصّة العراقية ديزي الأمير، ويخطبها. تبادله هي الحب وتلحق به إلى «كامبردج» ويعيشان معاً، غير أنه لم يستطع امتلاك «المرأة المستحيلة»؛ إذ كانت امرأة عادية تريد الحبيب الأنيق، فتى الصالونات اللبق، والرجل الثري، المتفرّغ لها. لم يكن في استطاعته ذلك، فهو شاعر متمرد، أنوف يأبى الانصياع، ملتزم بالمثل، لا يملك سوى راتبه... ، فكانت الخيبة. كتب في رسالة لها يصف معاناته: «كنت وحدي أقاسي الم المخاض، ألم من تتمخّض، ولا تلد».

هذه التجربة الحياتية أنارتها رؤياه، ما أتاح له أن يقدّم تجربة شعرية تتميز من تجارب الشعراء الرواد، وأبرزها تجربتان: أولاهما تجربة السيَّاب الوجدية التي افتتحت الخروج على نظام الشطرين، وثانيتهما تجربة أدونيس الذهنية التجريدية، المسكونة بالتحوُّل. يقول في وصف تجربته هذه: «شعري هو حياة في صميم واقعها، هو إيقاع شعري لتحمُّلي شقاء الوجود».

التجربة الشعرية

تجربة حاوي الشعرية تتميز عن تلك التجارب، وتتفرّد بإبداع القصيدة العربية الحديثة التي تمثل تحوُّلاً يماثل التحوُّل المتمثل بالقصيدة – المعلّقة، فكثير من قصائده، مثل «السندباد» و«لعازر» تتشكّل من مشاهد، أو من متواليات، تنتظم في بناء كلّي ناطق بدلالة كلية. وهو، كما تفيد قراءة شعره، يعيد تجربة شعراء الحوليات، فيجوّد شعره، المتميز بثراء معجمه اللغوي ووفرة صوره المبتكرة.

قصائد حاوي تجسّد، انطلاقاً من تجربة ذاتية، تجربة العيش الفردي والجماعي المتشابكة، وتفاعل الفلسفة والشعر، وتنطق برؤية الفرد – الجماعة، بأبعادها القومية والحضارية والإنسانية. لهذا لا تكون حداثة هذا الشعر خروجاً على العروض وعلى التراث الوطني، وإنما صدور عنهما وعن الحياة المعيشة، مغاير لهما، كما هو صدور الولادات المغايرة للأبوين، ودخول في نسيج المسار الشعري العربي، وانبثاق يؤتي إبداعاً جديداً هُمّه الأساس رصد التحوُّل الحضاري المفضي إلى انبعاث.

إطلالة على مساره

في «نهر الرماد» (1957) أولى مجموعاته الشعرية، رأى الرماد يجري نهراً... ويخفي جمراً غافياً ينتظر الريح – المعجزة، فيسأل: «ربُّ، هل تعود المعجزات؟». يجيب عن هذا السؤال، وتتمثل إجابته/ رؤياه في الرمزين: تموز والعنقاء، وهما رمزان يمثلان اشتعال الكائن والتهابه، من دون أن يحترق، وانبعاث الحياة من الموت.

وفي «الناي والريح» (1961)، كان قد وجد في العروبة جوهر التحوُّل والانبعاث، تبدو له الريح – المعجزة قادمة لتكنس الرماد، غير أنها لم تلبث أن سكنت، فكانت «ببادر الجوع» (1965)، وهي ببادر من دون غلال، أو تمخّض من دون ولادة، وإعلان العجز والجفاف، فيسأل: «كيف لا أقوى على البشارة؟»، ويقرّر: «جفّت شفتي»، ويرى، مستلهماً سورة «أهل الكهف»، من القرآن الكريم أنَّ عقارب الزمن لا تدور في الكهف العربي. وفيها يستلهم أيضاً، حكاية «لعازر» من الإنجيل، ويرى من منظور تجربته الشعرية، القائمة على الحدس الشعري، أو ما سمّاه هو «ما يُفتح على الشاعر، في لحظات الوجد» أنَّ العجز عن الإخصاب كان، ولا يزال، سيّد الواقع العربي. تقول امرأة «لعازر»: «كنت أسترحم عينيه/ وفي عينيَّ عار امرأة/ أنّت، وتعرّت لغريب/ عاد من حفرته ميتاً كئيب».

كانت الخيبة الكبرى في عام 1967، فإذا الأرض العربية هي «الأم الحزينة». وهذه الأم، في التراث المسيحي، هي السيدة مريم العذراء التي صلب «تجار الهيكل» ابنها عيسى المسيح. و«الأم الحزينة» المعادلة في الواقع العربي، هي الوطن العربي الذي شيَّع ألف مسيح ومسيح، و«لم يبقَ، في الأفق، سوى دخّنة فحم من محيطٍ لخليج» فحمة، صنعتها «اللعينة»، وجسد اللعينة لن يطهّره العماد».

وفي «الرعد الجريح» (1973)، يُطلّ الفارس حاملاً جراحه، ليجترح فعل القيامة/ التحرير، لكن «عاقري الناقة» يقطعون عليه الطريق ، فيكتب الشاعر «رسالة الغفران من صالح إلى ثمود» (1974)، ويحيل إلى حكاية النبي صالح مع قومه ثمود – عاقري الناقة، ويستحضر هجرة النبي محمد من مكة إلى يثرب، ويرى أنَّها تعادل الهجرة من فلسطين إلى الشتات، وأنَّ «الفتح» لا بدَّ آتٍ.

تجلّيات العقم والعار

لكنّ «البطل!» المهاجر، لم يعمل بما قاله نبيُّه: «الجنة تحت ظلال السيوف»، فخنَّى ساح القتال، في اجتياح عام 1982، فاجتاز العدوُّ صيدا، وراح يتقدم نحو بيروت، وارتضى أقلّ من النيِّرين في مرحلة تالية ستصير إليها، كما بدا للشاعر، في ما يتلقاه من رؤيا، فسأل نفسه: «أترى حملت من صدق الرؤيا ما لا تطيق؟». وقرر: «خلّني! ماتت بعينيَّ منارات الطريق»، فركن إلى رصاصات تمحو العار، وتأخذه إلى عالم لا يرى فيه قطعان الكهوف المعتمة، وقد سادت زمن القحط. وهكذا كتب قصيدته الأخيرة، مقدّماً لها بقوله: «ربّاه لا أحتمل هذا العار» كأنه «لعازر» يعود إلى حفرته، بعد أن تجلبب العقم بالعار، ولم يعد العيش في بلاد ثمود صالحاً.

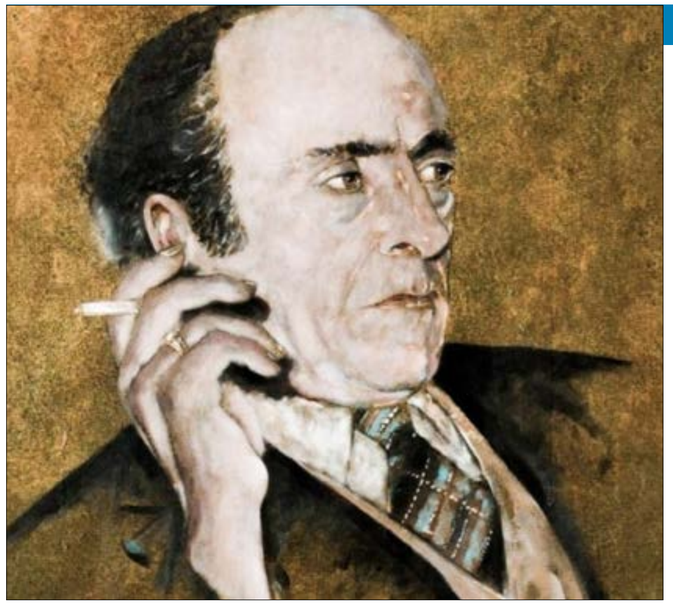

حمل على عاتقه هاجس قيامة الأمّة

لؤي زيتوني *

يعدّ خليل حاوي حالاً فريدةً في شعرنا الحديث، لكونه قدّم نفسه شاعراً رائداً رائياً، حداثيّاً في أعماله وفي خلفيّته الفكريّة، مثقّفاً ومثاليّاً إلى أبعد الحدود، ولم يكن ذا مسيرةٍ روتينيّةٍ رتيبة، بل صاحب مسارٍ صراعيّ. كتب بدايةً بالعامية، ثم بالفصحى وكان شديد الانغماس فيه، وقد شهد بين ذاك وهذا تطوّراً فنّيّاً ورؤيويّاً كبيراً. استطاع أن يتدرّج في دراسته الأكاديميّة حتّى نيله الدكتوراه من إحدى أرفع الجامعات العالميّة، إلى أن وصل إلى مرحلة تقديم المعرفة إلى جيل برع نقداً وشعراً وفلسفة... حاوي، هذا الشاعر الاستثنائيّ الذي تنكّب حمل الحداثة، تمكّن من أن يكون رياديّاً ورؤيويّاً، وهذا ما قد يبدو من خلال تتبّع فكره والأثر الذي أحدثه في تبنّي الرمز عموماً، والأسطورة على وجه الخصوص.

الخلفيّة الأيديولوجيّة والأثر الفكريّ والوجدانيّ على هذا الصعيد، يمكننا أن نلتمس خيوط هذه الخلفيّة، بشكل أوّليّ، من خلال تصريح لأدونيس جاء فيه: «ليس بين قصيدتي وقصيدة خليل حاوي أيّ التقاء، ذلك أنّ القصيدتين تنبعان من مصادر واحدة انطلقها في بلادنا عقائدياً أنطون سعاده». وهذا ما يحيلنا إلى الجانب الأساس الذي رفد شعر حاوي وهو تأثّره بأنطون سعاده وفكره، إضافةً إلى عامل آخر مساند وهو التأثّر ببعض شعراء الغرب.

يؤكّد الشاعر ذلك باعترافه بانتمائه للحزب السّوري القوميّ الاجتماعي في مواضع عدّة، منها حاشيةٌ من أطروحته للدكتوراه حول جبران. وفي موضع آخر يقول: «في الخامسة عشر، انجرفتُ في الحزب القوميّ السوريّ». وتأكيداً على ذلك، يصرّح لطلابه: «لم يأت في تاريخنا قائدٌ له قامة وحضورٌ مثل أنطون سعاده». وهو ما يساعده باحثون كثرٌ يربط بين بعض آراء سعاده في الأدب وبعض مقولاته في الشعر.

ويمكن أن نتثبّت من ذلك عبر حضور أصداء مقولات سعاده في كتاباته، ومنها قوله عن امتلاك الذّات نظرة أصيلة واحدة إلى الوجود والحياة دون تقليدٍ أو تزييف. وهو ما نجده صدى لما نقرأه في «الصراع الفكري» حول امتلاك نظرة جديدة إلى الحياة والكون والفن تمكن من إنتاج شعر مجدّد، وقد تعدّى الأمر ذلك إلى تبنّي بعض مقولاته كاملةً وبوضوح.

أمّا شعريّاً، فنجد أنّ حاوي جعل من سعاده وسيرته رمزاً أسطورياً، خصوصاً في «الجسر»، حيث يبدو أنّ الشاعر ينطق بلسان سعاده في كلماته الأخيرة: «هذه الليلة سيعدمونني، أما أبناء عقيدتي فسينتصرون»؛ وما إشارته إلى تجاوز الشرق لواقع المستنقع والكهوف، إلا إبرازٌ لسعي سعاده في بلادنا إلى الحياة الجديدة.

وقد يكون هذا الأمر هو ما دفع حاوي إلى اعتناق مفهوم «الإثم الكنعانيّ» وجعل الأرض «كنعاناً حضاريّاً قوميّاً»، ومصدراً للقيم، إضافةً إلى كونها مجالاً حيوياً لتطوّر العقل الإنسانيّ. ومن هذا المنطلق يمكن فهم كلامه:

«ردّني ، ربّي، إلى أرضي
أعدني للحياة»

الطّاقة الرّمزيّة والفرادة التّموزيّة

يحيلنا الكلام السّابق إلى الطّاقة التي يتمتّع بها حاوي في تشكيل الرّمز أو استنباطه بما يتناسب مع الحال التي يسعى إلى إبرازها، إذ إنّ «تجربة هذا الشّاعر حضاريّة ووجوديّة بمعنى أنّها تعبّر عن الحضارة كفعل إنقاذٍ للإنسان من قصوره عاهاته وكمبرّر لوجوده واحتمال عبث الوجود وغبائه». ولعلّ هذا ما جعل حاوي يهتدي إلى الأسطورة التّموزيّة، وصار ميزةً لشعره. كما في قوله:

«يا إله الخصب، يا بعلاً يفضّ
التربة العاقر
يا شمس الحصيدْ
يا إلهاً ينفض القبر
ويا فصحاً مجيدْ،
أنت يا تموز، يا شمس الحصيدْ».

واستناداً إلى هذه الرؤية، صح القول: «ولا نعرف شاعراً قبل خليل حاوي تعاطى مع الرّمز التّموزي بدقّةٍ فكريةٍ كونيّةٍ شمولية...»، ولعلّ هذا ما يعود إلى تعمّق حاوي في قراءة «الصراع الفكري».

هنا ينهض رمز العنقاء بالنّار المقدّسة، لأنّه يُبرز مسألة الانبعاث الذّاتي، ما يتناسب مع طبيعة النّسل الجديد؛ وتُعاضِدُهُ قصّة ملكارت وارتباطه بالنّار القياميّة. لذا يربط البعض بين رمز النّار وبين شعار الزّوبعة القوميّة الاجتماعيّة لتماثل غايتهما. وعليه، نتبيّن أنّ الشاعر حمل على عاتقه هاجس قيامة الأمّة، فهو يضطلع بدور خلاصيّ في حياة الجماعة، وهذا ما دفع كمال خير بك إلى ربط صورة الإنسان/ الشاعر بفكرة الإنسان المتفوّق عند نيتشه. ونخلص إلى أنّ حاوي اندمج في عمليّة الفداء والانبعاث نتيجة حضور الهاجس القوميّ في وجدانه، وإيمانه بأنّ القيامة حاصلة. لذلك شكّلت الرّموز «التّموزيّة» قواماً لشعره، وهي رموزٌ «تحمل عصمة اليقين الجماعيّ» بالبعث. بالنّتيجة، نجد أنّ المرجعيّة الفكريّة قد أدّت دوراً فاعلاً في تشكيل رؤية حاوي الفريدة التي تدور حول محور قوميّ حضاريّ يرتبط بعمليّة رصد الواقع المزري للأمّة، وإنارة المسار نحو خلاص ممكن. هذه الرّؤية التي أثّرت في نظرته إلى الشّعر عموماً؛ ومنها اللّجوء إلى الرّموز بأبعادها الدّلاليّة المتنوّعة، ولا سيّما التّموزيّ الذي اشتُهر به وفق نهجٍ خاصّ.

غير أنّ هذا المنحى لم يتّخذ شكلاً واحداً دوماً، إذ خضع أحياناً للتشاؤم واليأس، لأنّ أمله «كان أملاً خارجياً مؤقتاً لم يعمّر وظل الشاعر يحيا في مدينة سدوم يخرج منها ويعود إليها»؛ وهذا ما نراه واضحاً في «لبعازر». الأمر الذي أدّى به إلى قرار إنهاء حياته مع بدء اجتياح عام 1982. ومهما يكن من أمر، فإنّ خليل حاوي يبقى علامةً شعريّةً فارقةً في تاريخنا الإبداعي، كما أنّ نتاجه سوف يبقى كنزاً غنيّاً وعزيزاً من تراث بلادنا.

* عميد الإذاعة والإعلام
في «الحزب السّوريّ القوميّ الاجتماعيّ»

الصور الفوتوغرافية من أرشيف عائلة الشاعر الراحل

بلد الأمس الذي يطلع من رؤيا غدي *

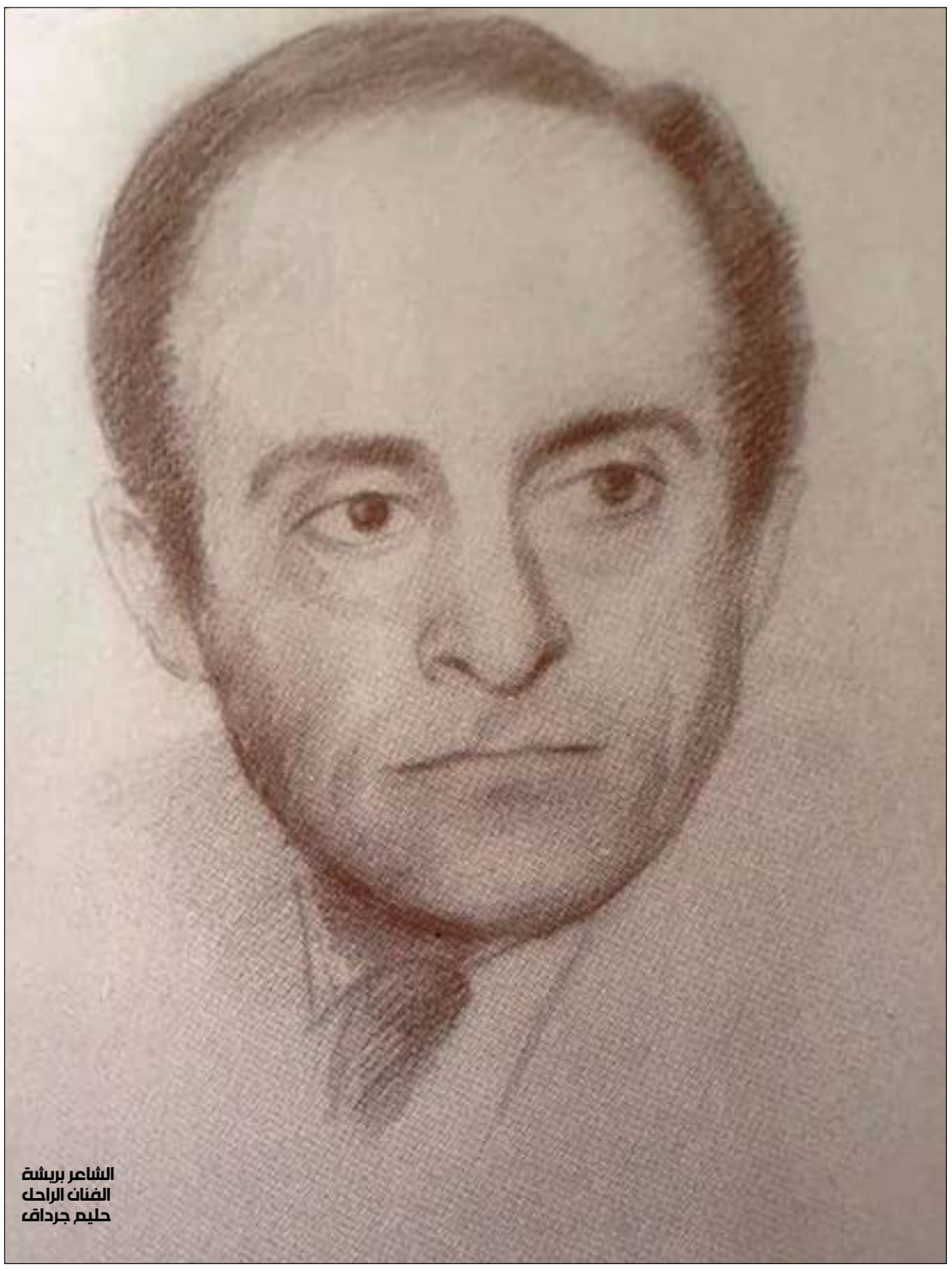
الشاعر بريشة الفنان الراحل حليم جرداق

1- يا صبيّه

يا صبيّه!
يا صبيّه!
كيف ألهبتِ رمادي وصقيعي
كيف أطلعتِ صبيّاً
في عروقي وضلوعي
طلعة حرّى طريه
وغسلت الزهو في عينيه
من هول العشيّه
يا صبيّه!
يا صبيّه!
يا صبيّه!
ومدى الزهو تجلّى
جسد في زهوه دون غلاله
وصبيّ طافر يمرح فيه
يرتعيه
يتملّاه حلاله
جسد دون غلاله
حوله ذابت متاهات الهوى
ومتاه الظنّ ما خلف المدى
وصدى الأمس وغصّات الصدى
جسد دون غلاله
حوله الأرض تجلّتْ
هالة هلّت وهاله
أشرقت فيها الظلال
خلعَت ثقل الجبال
خلعَت ثقل العشيّه
خلعت هول العشيّه
يا صبيّه!
يا صبيّه!

2- في منزلي

أيقين أنها في منزلي
كيف يخفى ما أرى ما أجتلي
يمّحي ظنّي، وظنّي يغتلي
لم تغادر منزلي عند الصباح
لم تكن تزهو وتلهو
وتعرّي جسمها غضّاً مباح
تخلع الجسم
وتمضي عبر طيّات الرياح
لم تغادر منزلي عند الصباح.

3- الغائب

(إلى أنطون غطاس كرم)
في سكون يتعالى
عن صراع يتوالى
موجه عبر السنين
أسمع الصوت الذي ينساب
من صمت الصحاب الغائبين
صمتهم يغسل سمعي
من ضجيج الألسنه
عندما تزهو بلغوٍ
أتلفته الأزمنه.

4- كنت ألقاه

كنت ألقاه
شهاباً مارجاً
في وهج غوري ومروجي
يرتمي نشوان
في ظلّ بروجي
غير إني كنت أشمّ الخيانه
كنتُ ألقاه
غريباً غائباً
يحتلّه ما لا أراه وأراه
جسد ينصب
من صحو رؤاه
جسد يخفى ويظهر
جسد غضّ وصلب يتبخّر
يتمشّى في خلاياه
سحاب لاهث
يلغي كيانه
وعيانه
كنت أشُمّ الخيانه.

5- زحفَتْ يداكِ

زحفَت يداكِ
من السفوح إلى الأعالي
وعرفتْ
ما طعم الصواعق في جبالي
وعرفتْ
جفوة مطرح يعلو المطارح
عزم الضواري يلتوي
عن حدّه الأدنى
وأجنحة الجوارح
وعرفتْ
ما صحو يرصّعه الندى
صحو يهلّ ولا يبالي
وسمعتْ
صمت الصحو
بلّوراً يفسّخه الصدى
ويشفّ
عن طعم الصواعق في جبالي.

6- طبع القدر

ما صحوة الطبع المعافى
في ظلمة حرّى،
ونوم يتجافى،
يا من تعاني
في سرير من إبر
ما لا يعاني المجرم المتخوم
من لحم البشر،
يزهو بطبع يدّعي:
«ما شئته يغدو حلال»
«للحصد حصّاد الغلال»
«قطف الرؤوس اليانعه»
«قطع الرقاب الخاشعه»
يا من تعاني ما تعاني
في سرير من إبر
طبع خفيّ ظاهر:
طبع الصراع
طبع الطباع
طبع القدَر
يمتدّ عبر الكون
من وجش لجنٍّ لبشَرْ،
يمتدّ من بحرٍ لصخرٍ لشجَرْ،
طبع خفيّ ظاهر طبعُ القدر.

7- بلد القلوب الموصدة

بلد القلوب الموصدة
بلد تحوّل عزمه
غِلّاً يغور ويبتني
في كل قلب موقده
غلّ القلوب الموصده
يشتدّ من جيل إلى جيل
ويخترق العظام
يشتدّ، يلتهم
الحلال مع الحرام
غلّ القلوب الموصده
غلّ يغصّ ويبتني
في كل قلب مرصده
والغلّ يعمي الغلّ
في بلد القلوب الموصده.

8- ركام

وجوههم وجوههم
تطلّ من أصفارها المدوّرة
تحيط بي مركومة مكوّره
تغزو ركام المهملات
ما فات غربال الرواة
وجوههم وما تعي
وتدّعي وتدّعي
من سفه، من تَفَه
ومن رفات
تحيط بي
مركومة بالمهملات
تحيط بي مكرّره
أبخرة معجونة
في أبخره
من ضحكتي المزمهره
وضحكتي المدمّره.

9- قصيدة بلا عنوان

بلدي
بلد الأمس الذي يطلع
من رؤيا غدي:
جامداً جهْماً مرصّع
باطلاً يطلعُ يطلعْ
في مرايا الشمس والأمطار
يزهو ينجلي يلمعُ يلمعْ
جامداً جهْماً مرصّع
ما ارتوى من لهب
يصهره يجلو كيانه
لهب ينبض غضّاً
ويدوّي في عروق السنديانه
يجتني زهواً نضير
من بروق الرعد
في ليل مرير زمهرير
يمّحي فيها صمود
الجامد الجهم المرصّع
هل يعاني وجع الأعضاء
في جسم مخلّع
بلد ينحلّ ذرات وذرّات
ويلتفّ طوائف وطوائف
في مطاوي أقبيه
تنطوي في أقبيه،
كان في عصر الطوائف
خائفٌ من قبوه
يهفو لخائفْ
خائف من قبوه
يصرع خائفْ.

10- حلم ترى دنياي

يا نبضة حرّت خمول التراثْ
فالثلج ينحلّ بزهو الهضابْ
وخضرة المرج بها طفرة
تسلّقت أعتابنا والقباب،
يا مرج يفديك سرير الهوى
بطيبه، والوشوشات العِذابْ،
ويا غمام الزهر أيّ يدٍ
شدّت إلى الأرض غمام السحاب
وثقلة العتمة كيف هوت
جدرانها وانشقّ ذاك الحجاب
عن قريتي الخضراء، عن حفنةٍ
من أنجم ضاعت بخضر الشعاب
عن مرح الشمس بأحواضنا،
وبيتنا، عن لونها والخضاب،
وعن دروب الغاب، يا حنوةَ
الغاب عليها بالظلال الرطاب
عن غيمة ترقد في المنحنى
وعن جبال أبحرت في الضباب
يا شبع العين ويا ريّها
أنّى ارتوت أو نهضت في الرحاب
يا قلب، يا صفوَ غديرٍ جرى
صحو السماء فيه وزهو الهضاب
حلمٌ ترى دنياي أم واقعٌ
أطيب من حلم برته الرغاب.

11- شو قولكم

شو قولكم؟ هالدرب كِلّا طلوع؟
وما زال بعدو نهار
ما زال نمشي وكل ساعة قطوع؟
شِدْ حيلَك عالتعب والجوع
ما عاد في مهرب ولا في رجوع،
سلاحَك عجنبَك،
والرفاق كتار
وبكّير رح تقفّوا الجبل، بكّير
وخلف الجبل بتصير
الدرب مرجه والورود غمار
شو قولكم؟ في ساحرة بالسحر
تعمل عجيبه مالها تاني
ترجّع ليالي العمر
ويرجع لنا زهو الشباب السمر
وقلوب من غير سِكْر سكراني
وهاك الصبايا متل قلب الفجر
ترقص وتهزج عالتلال الخضر
وتغزل غناني
ومهما قسي وتعطّل العَدّانْ
بيبقى مخبّى بعبّها نيسان.

مختارات من قصائد «الديوان الأخير» الصادر عن «دار نلسن» . 2022

Samedi 12 Novembre 2022 no42
السبت 12 تشرين الثاني 2022 العدد 42

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

القضاء البديل؟

[7-6]

UN Watch ذراع «إسرائيل» الممتدة إلى الـ«أونروا»

3-2

هل يمكن أن يكون الصرّاف «ديليفيري»؟

4

لحماية حواسيب القضاة

7

هل تعالج العدالة التصالحيّة الضرر في لبنان؟

أونلاين

القضية المركزية

UN Watch ذراع «إسرائيل» الممتدة إلى الـ«أونروا»

يتعرّض عدد من الموظفين لدى وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا» في مناطق عملها الخمس للرقابة والتحقيقات وخطر الفصل من العمل ولإجراءات عقابية أخرى، إثر شكاوى وتقارير رقابية تصدرها منظمة UN Watch ترصد فيها كل ما يصدر عن هؤلاء من مواقف متضامنة مع فلسطين ومؤيّدة للمقاومة في وجه الاحتلال «الإسرائيلي»، مدّعية أنهم يحرّضون على الإرهاب والكراهية ويشجّعون معاداة السامية. هذه المحاولة لخنق الصوت الفلسطيني المناهض للاحتلال داخل الجسم التربوي، انتهاك صارخ لخصوصية العاملين في الوكالة وأمنهم، تحت مسمى «قوانين الحيادية» وقيم الأمم المتحدة

■ ملاك سلوم

تُعرّف منظمة UN Watch نفسها بأنها منظمة غير حكومية «تراقب أداء الأمم المتحدة تبعاً لميثاق الأمم المتحدة نفسه». ورغم إعلانها عام 2013 أنها أصبحت مستقلة بالكامل، إلا أنها كانت منذ تأسيسها عام 1993 تابعة لـ«الكونغرس اليهودي العالمي» (WJC: World Jewish Congress)، ثم للجنة اليهودية الأميركية (AJC: American Jewish Congress) عام 2001.

وتدّعي المنظمة محاربة كل أشكال معاداة السامية ومعاداة «إسرائيل» في الأمم المتحدة، تمتد مجالات عملها إلى وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل «لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى» (أونروا)، فتتدخل في المناهج التعليمية المعتمدة استناداً إلى تقارير معهد «امباكت سي الإسرائيلي»، وترصد حسابات الفيسبوك العائدة للعاملين في الوكالة. وقد شملت تقاريرها الصادرة منذ أيلول 2015 حتى حزيران 2022 أكثر من 120 معلّماً وموظفاً تضمنت تحريضاً وتشهيراً بهم، وأرفقت التقارير بصور من منشوراتهم على فيسبوك صنّفتها «معادية للسامية» و«مروّجة للإرهاب» و«محرّضة على القتل»، كما تزعم أن العدد الفعلي للموظفين الذين يحرّضون على الكراهية والإرهاب يفوق هذا العدد بكثير، مطالبة بالتحقيق في الأمر.

وتُعرض هذه التقارير على صحف وتلفزيونات عالمية، ويتم الاستشهاد بها في 600 صحيفة سنوياً، ما يؤدي إلى مساءلة وكالة الغوث دولياً وسياسياً ودبلوماسياً.

في تقرير «تحريضي» رفعته في حزيران 2022، دعت المنظمة الممولين الرئيسيين للوكالة -بما في ذلك الولايات المتحدة وألمانيا والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي- إلى ضمان أن تبرّعاتها للأونروا والبالغة 1,2 مليار دولار، لن تموّل «معلّمي الكراهية»، ودعت الـ«أونروا» إلى تحمّل مسؤولية التزاماتها والتماهي مع معاييرها. كما رفعت هذا التقرير إلى مفوض الاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية جوزيف بوريل، والسفيرة الأميركية ليندا توماس غرينفيلد، والأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، ورئيس الوكالة فيليب لازاريني، علماً أن هذه التقارير تضغط باتجاه مساءلة الأونروا دولياً ودبلوماسياً وقطع التمويل.

«التضامن ممنوع»

كما تشكل هذه التقارير خطراً حقيقياً على الأساتذة والموظفين الذين تشملهم هذه الادعاءات، بما يترافق معها من تشهير بهم وتحريض عليهم وتحقيقات تجريها مكاتب «أونروا» يمكن أن تؤدي إلى فصلهم. «هدى» واحدة ممّن شملهم التقرير، علّمت لسنوات عديدة وفق نظام التعليم اليومي، تروي تفاصيل ما حدث معها منذ اللحظة الأولى لاستدعائها إلى المكتب الإقليمي للوكالة في بيروت، بعدما شاركت منشوراً في ذكرى النكبة على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، وتقول: «في جلسة حضرها محققان من الأونروا، أحدهما أجنبي، تم استجوابي عن سبب مشاركتي للمنشور، فأجبت بأن ذلك كان فقط بهدف التضامن مع شعبي، فنحن بعيدون عن فلسطين، لكن لا نستطيع أن ننساها». كما سُئلت عمّا إذا ما كانت تنتمي إلى أي فصيل فلسطيني أو حزب لبناني، ففنّدت ذلك مؤكدة أنها شاركت المنشور من حساب صديق إحياءً لذكرى يوم تعدّه مؤلماً لها ولشعبها.

انتهاك الخصوصية

تتطرّق المعلّمة إلى ما اعتبرته انتهاكاً صارخاً لخصوصيتها: «خلال التحقيق، سلّموني ملفاً يتضمن صفحتي الشخصية على الفيسبوك، وصوري مع عائلتي وأصدقائي وصوري الشخصية، كل المنشورات كانت مطبوعة على أوراق وضعت على الطاولة. استمرت الجلسة حوالي ساعة ونصف ساعة، شعرت فيها بالإنهاك من الأسئلة، كان يتمّ تضخيم الأمور البسيطة وإعطاؤها أبعاداً أخرى، كما سألني المحقق الأجنبي عما إذا كان بإمكاني حذف المنشور الذي اعتبره التقرير محرّضاً على العنف ضد إسرائيل فحذفته فوراً».

قرارات الفصل

بعد 10 أشهر من توقيف المعلّمة عن العمل حتى صدور القرار العقابي من قِبل المدير العام لـ«أونروا»، صدر قرار بحقها يتضمّن فصلها عن التعليم

> تستمر جلسة التحقيق حوالي ساعة ونصف ساعة يتعرّض فيها المعلّم لضغط كبير وانتهاك لخصوصيته

لمدة سنة، وهو ما رفضت المعلّمة التوقيع عليه، معتبرة إياه ظلماً «فأنا لم أكن أعرف أي شيء عن UN Watch، كما أنّي لم أخضع لأيّ دورات ترتبط بقوانين الأونروا والحيادية، لأني أعمل وفق النظام اليومي، إضافة إلى توقيفي لمدة 10 أشهر قبل صدور القرار، وبالتالي هذا العقاب يمتد لسنتين»

حتى المناهج معادية للسامية...

لا يقتصر الحراك الإعلامي والدبلوماسي والرقابي لـ UN Watch على المعلّمين والموظفين، بل يستهدف المناهج التعليمية التي تعدّها، محرّضة على الإرهاب والكراهية وتشجّع على معاداة السامية، بغية تغيير هذه المناهج وإزالة المحتوى المناهض للاحتلال.

ورغم إصدار وكالة الغوث في كانون الثاني 2020 نشرة حقائق تحت عنوان "تبديد الغموض حول نهج الأونروا بخصوص المناهج"، أشارت فيها إلى إجراء مراجعة للكتب والمواد التعليمية المستخدمة في الدول المضيفة، والتأكد من أنها لا تتعارض مع قيم الأمم المتحدة، «ولا تحتوي أيّ شكل من أشكال التمييز أو العنصرية ومعاداة السامية»، إلا أن المنظمة دحضت هذه النشرة مستندة إلى تقارير أعدّتها «لجنة القضاء على التمييز العنصري في الأمم المتحدة»، تشير فيها إلى أن الكتب المستخدمة في مناطق السلطة الفلسطينية تتضمّن العكس، بالإضافة إلى استعانتها بتقارير أعدّها «معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي» IMPACT-se الإسرائيلي لتقييم المناهج. ورات المنظمة، مستندة إلى تقارير المعهد «الإسرائيلي»، أن الكتب المستخدمة في «أونروا» «تمجّد الإرهابيين» بسبب وجود نص يذكر دلال المغربي. كما انتقدت الكتب التي درسها الفلسطينيون تاريخياً في مدارس الوكالة لأنها «روّجت لفكرة حق العودة» ووجود فلسطين بحدودها التاريخية كاملة على الخريطة، والاحتفاء ببعض الشخصيات الفلسطينية المُقاومة.

(أرشيف ـ مروان طحطح)

مخالفة الحيادية

تنطلق أهمية الأونروا من كونها عاملاً مهماً في الحفاظ على حقوق اللاجئ الفلسطيني ولو مؤقتاً في الشتات حسب القانون الدولي (تصوّت الأمم المتحدة على تجديد عمل الأونروا كل 3 سنوات)، لذا فإن التصويب على الأونروا هو استهداف وتصفية لحقوق خمسة ملايين وسبع مائة ألف لاجئ يستفيد من خدماتها، من ضمنهم معلّمو الوكالة. أدّت هذه التقارير، على مدار السنوات، إلى طرد عدد من الموظفين والمعلّمين «بزعم مخالفة الحيادية وخرق قيم الأمم المتحدة»، من دون أن تعلن الوكالة رسمياً عن هؤلاء أو تفاصيل الإجراءات المتخذة بحق كل منهم. كما دفعت الوكالة مراراً إلى التأكيد على إدانتها لـ«العنف ومعاداة السامية»، والتشديد على أنه لا ينبغي للموظفين فيها «الانحياز أو الانخراط في خلافات ذات طبيعة سياسية وعقائدية وعرقية ودينية» (اتفاق تعاون مع الولايات المتحدة 2021). وعام 2018، أصدرت «أونروا» سياساتها الجديدة حول مواقع التواصل، إضافة إلى تنظيم دورات تدريبية إلزامية للمعلّمين حول «الحيادية». ورغم كل ما قدمته الوكالة من تنازلات وتعهدات وإدانات وسياسات قديمة وجديدة، تحت ضغط التقارير التحريضية وقطع التمويل، إلا أن هذا لا يبدو كافياً بالنسبة إلى UN Watch، التي تعتبر أن هؤلاء المعلّمين أنفسهم «تمّت تنشئتهم وفق معاداة السامية والإرهاب»، وبالتالي فإن التعليم الذين يقدمونه للأجيال القادمة يدور في حلقة مفرغة من «الكراهية».

مصادر:

- تقرير المنظمة الصادر في آب 2021
- تقرير المنظمة الصادر في حزيران 2022
- الأونروا تستجيب لضغوط منظمة صهيونية وتوقف موظفين عن العمل
- نشرة حقائق حول مراجعة الأونروا لمناهجها

«WJC»

يتكوّن المؤتمر اليهودي العالمي من هيئات «وطنية» في 115 دولة في جميع أنحاء العالم ومنظمات ممثلة إقليمية وعدة منظمات يهودية دولية. مهمة الكونغرس وفق وصفه، «توحيد الشعب اليهودي وتمثيل مصالحه»، و«الاعتراف بالمكانة المركزية لدولة إسرائيل بالنسبة إلى اليهود»، وهو يعمل على «تقوية علاقات الجاليات اليهودية واليهود المشتتين في العالم مع إسرائيل» و«تمثيل الجاليات ذات العضوية في المؤتمر اليهودي العالمي وعموم الشعب اليهودي والعمل من أجلها، تجاه حكومات وسلطات حكومية ومنظمات وسلطات دولية».

«AJC»

لجنة اليهود الأميركيين، هي منظمة لها أكثر من 70 مكتباً ومؤسسة وشراكة حول العالم، تعمل للتأثير على السياسات والآراء المناهضة لـ«إسرائيل». تدّعي اللجنة دفاعها عن «اليهود»، وتتركّز مهامها على محاربة حركة المقاطعة العالمية (BDS)، الدفاع عن الكيان الإسرائيلي في المحافل الدولية والقانونية كافةً وفي دول آسيا، «مجابهة التطرف والراديكالية» و«الوقوف بوجه معاداة السامية»، كما تنشط دعائياً على مواقع التواصل.

«IMPACT-se»

«معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي»، معهد إسرائيلي يقوم بكتابة الأبحاث والتقارير حول الكتب والمناهج الدراسية العالمية والعربية، والضغط على الحكومات والجهات المانحة لإزالة أي محتوى تعليمي مناهض للاحتلال، بزعم انتهاكه معايير الأونيسكو للتسامح والتقبّل.

في قلب القوس

الـ«أونروا» وحقّ العودة

■ سلمان خاطر

يضمن وجود الـ«أونروا» تناقل صفة اللاجئ الفلسطيني بين جيل وآخر، وبالتالي يمكن القول إنّ وجودها يضمن عدم سقوط حقّ العودة من منظور القانون الدولي. فلو تم نقل ملف اللاجئين الفلسطينيين من الوكالة إلى مفوضية اللاجئين، لا يبقى إلا اللاجئون الذين هجّرتهم العصابات الصهيونية عام 1948، والذين يُقدّر عددهم اليوم بما لا يتجاوز بضع عشرات الآلاف، مقارنة بما يزيد على 5 ملايين لاجئ مسجّلين لدى الـ«أونروا». ولهذا السبب تحديداً يتم استهداف هذه المنظمة من النظام الإسرائيلي وأدواته، مثل UN Watch، وأيضاً من قِبل حلفاء هذا النظام، خصوصاً الولايات المتحدة. فإدارة الرئيس السابق دونالد ترامب فعلت المستحيل لإلغاء الوكالة، وقطعت التمويل عنها تحت ذرائع شتّى، بما فيها تقارير UN Watch ومثيلاتها.

فشل ترامب في النيل من الـ«أونروا». لكنّ إدارة الرئيس الحالي جو بايدن استفادت من الفجور والغطرسة اللذيْن تصرّف بهما ترامب مع صهره وأصدقائهما الصهاينة تجاه فلسطين لتصوّر نفسها معتدلة وإنسانية وعقلانية، وفي الوقت نفسه فرضت شروطاً ضيّقت فيها مساحة الحرية في الوكالة كشرط لاستئناف تمويلها بما يشبه جائزة ترضية للإسرائيليين. فبايدن أيضاً صهيوني، باعترافه الحرفي والعلني والصريح.

الـ«أونروا» ليست أقل فساداً من غيرها (ولا أكثر) أو أقل هدراً للأموال على خبراء وبرامج لا تمتّ إلى الواقع بصلة. وفيها، كما في غيرها من المنظمات، موظفون صهاينة، بعلمهم أو من دون قصد (وما أكثرهم)، وفيها أيضاً من التقصير والإهمال والاستهتار ما يقزز في بعض الأحيان. في ذلك كلّه، ليست الـ«أونروا» استثناء بين المنظمات الأممية، لكن وجودها له وظيفة وفائدة للقضية الفلسطينية وحقّ العودة بشكل خاص، ولذلك تتم محاربتها دون غيرها.

وفي نهاية المطاف، الـ«أونروا»، بل منظومة الأمم المتحدة برمّتها، ليست طرفاً أو لاعباً في العلاقات الدولية، ولا يفترض أصلاً أن تكون كذلك، بل هي ساحة من ساحات الصراع، تختلف قليلاً قواعد اللعبة فيها عن غيرها من الساحات وتُستخدم فيها كلّ الأسلحة. الرابح فيها يفوز بأدوات يسخّرها لمصالحه، بغضّ النظر عن القانون الدولي وحقوق الإنسان. وبالنسبة إلى فلسطين وقضيّتها، فهي أحد الميادين، وأقل أهمية من ميادين المواجهة المسلّحة وحتى من المواجهة السياسية.

إلّا أن تحقيق المكاسب التي تدعم جهود وتضحيات المقاومة ضد النظام الإسرائيلي ليس صعباً، بخاصة أن القضية الفلسطينية هي بكلّ المعايير قضية عدالة. وهي بالتالي القضية المركزية.

سين جيم

تنظيم أعمال الصرافة في القانون اللبنانيّ

هل يمكن أن يكون الصرّاف «ديليفيري»؟

■ صادق علوية

ينتشر الصرّافون في الشوارع والأزقة من دون رقيب أو حسيب، ويقومون، حتى المرخّصون منهم، بألاف العمليات خلافاً للقانون، رغم أن قانون تنظيم مهنة الصرافة أولى صلاحية تنظيم قطاع الصرافة إلى مصرف لبنان، وأناط به مراقبته وتوقيع العقوبات على المخالفين. رغم ذلك كله، ينتشر الصرّافون والباعة المتجوّلون لأوراق النقد على نواصي الطرقات. أمّا المخالفة الكبرى ففي عدم تدقيق المصرف المركزي في العمليات التي يقوم بها الصرّافون المرخّصون الذين يُلزمهم القانون بقيد كل عملية يُجرونها، فيما نجد أن السجلّات لا حسيب ولا رقيب لها رغم أن عمليات الصرافة لا تخضع للسريّة المصرفية. قد يتساءل معنيون، عمّا إن كان تنظيم تزويد السوق بالدولارات يتم بواسطة الصرّافين وليس المصارف، وقد يكون هناك من يرغب بمعرفة أين يذهب كل دولار؟ الأمر سهل. ففي إمكان المعنيين الاطّلاع على سجلّات الصرّافين، سيّما أن سجلّات وقيود ومحاسبة مؤسسات الصرافة لا تخضع لأحكام قانون سريّة المصارف، وفي 10 حزيران 2020 أنشأ مصرف لبنان المنصة الإلكترونية لعمليات الصرافة بموجب القرار الأساسي 2020/13236، وأنشأ تطبيقاً إلكترونياً أعطاه اسم صيرفة Sayrafa، إلّا أنه تبين أن هذا القرار بقي محصوراً في عمليات شراء الدولارات من مصرف لبنان، والتي صارت لها تسعيرة مختلفة عن مبيع وشراء الدولارات من الجمهور.

ما هي مؤسسات الصرافة ومن يتولّى الترخيص لها؟

مؤسسات الصرافة تُنشأ على شكل مؤسسات فردية أو شركات يكون موضوعها محصوراً في أعمال الصرافة، وتحمل اسم «مؤسسة صرافة»، «صاحب مؤسسة صرافة»، «صرّاف»، «شركة للصيرفة»... أو أي اسم من هذا القبيل. يمنح المجلس المركزي لمصرف لبنان الترخيص بتأسيس مؤسسة صرافة بقدر ما يرى أنه يخدم المصلحة العامة المقدّرة، وبعد التأكد من الكفاءة المادية والمعنوية للمؤسسين ولأصحاب الحق الاقتصادي وللمكتتبين برأسمال المؤسسة وللأشخاص المنوي تكليفهم بمهام إدارية عليا، خصوصاً لجهة عدم صدور أي أحكام جزائية أو مدنية لارتكاب أي جناية عادية أو سرقة أو سوء ائتمان أو احتيال أو تبييض أموال أو تمويل إرهاب أو إعلان إفلاس، بحق أي منهم أو من شركائهم في لبنان والخارج، أو لجهة إدراج أي منهم على لوائح العقوبات المحلّية أو الأممية.

ما هي فئات مؤسسات الصرافة؟ وهل يشترط القانون وجود رأسمال لها؟

تُقسم مؤسسات الصرافة إلى فئتين: فئة أ: موضوعها شراء وبيع العملات الأجنبية مقابل أي عملة أجنبية أخرى أو مقابل العملة اللبنانية، أوراقاً نقدية كانت أم قطعاً معدنية، وشراء وبيع القطع والسبائك المعدنية والمسكوكات والتحاويل والشيكات والشيكات السياحية، ويبلغ رأسمالها عشرة مليارات ليرة. فئة ب: موضوعها شراء وبيع العملات الأجنبية مقابل أي عملة أجنبية أخرى أو مقابل العملة اللبنانية، وشراء وبيع القطع المعدنية والسبائك الذهبية دون الألف غرام والشيكات السياحية ضمن سقف 10 الآف دولار، ويبلغ رأسمالها خمسة مليارات ليرة. وعلى مؤسسة الصرافة، عند فتح أي فرع جديد لها، زيادة رأسمالها بمبلغ يوازي على الأقل الرأسمال الأدنى المطلوب.

من يتولى الرقابة على أعمال مؤسسات الصرافة؟ وهل تخضع أعمالها لقانون سريّة المصارف؟

يعهد بالرقابة على مؤسسات الصرافة إلى لجنة الرقابة على المصارف، ولا تخضع سجلّات وقيود ومحاسبة مؤسسات الصرافة لأحكام قانون سريّة المصارف الصادر في 3 أيلول 1956، ولا إلى أحكام المادة 151 من قانون النقد والتسليف التي تتناول سريّة المعلومات.

ما هي العقوبات الممكن توقيعها على مؤسسات الصرافة المخالفة؟

إذا تبيّن لمصرف لبنان أنّ مؤسسة صرافة خالفت القوانين أو التدابير المفروضة من قبل مصرف لبنان أو إذا قدّمت بيانات أو معلومات ناقصة أو غير مطابقة للحقيقة، أو أقدمت على عمل يضرّ بسمعة لبنان السياحية أو المالية، يمكن إنزال العقوبات الإدارية التالية بحقها:

- التنبيه.
- منعها من القيام ببعض العمليات أو فرض أي تحديد أو تقييد آخر في ممارسة المهنة.
- منع صاحب المؤسسة أو أيّ من الشركاء من ممارسة المهنة نهائياً أو لوقت محدد.
- شطبها من لائحة مؤسسات الصرافة.
- غرامة التأخير: يبلغ حدّها الأقصى عشرة أمثال الحد الأدنى الشهري للأجر عن كل يوم تأخير على كل مؤسسة صرافة لا تتقيّد ضمن المهل بالموجبات المنصوص عليها في القانون أو تعرقل أعمال الرقابة.
- إيقاف عمل مؤسسات الصرافة أو الحد من نشاطها بصورة مؤقّتة.

ولا يحول ذلك دون تطبيق العقوبات الجزائية التي تتعرّض لها مؤسسة الصرافة المخالفة.

> يمنح المجلس المركزي لمصرف لبنان الترخيص بتاسيس مؤسسة صرافة بقدر ما يرى انه يخدم المصلحة العامة المقدّرة

(هيثم الموسوي)

ويعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبغرامة حدّها الأقصى عشرة أمثال الحد الأدنى السنوي للأجر أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من يخالف أحكام هذا القانون ولا سيّما تلك المحدّدة فيه.

هل يمكن لمؤسسات الصرافة بيع العملات عبر باعة متجوّلين؟

مركز عمل مؤسسات الصرافة هو مركز المؤسسة، وهو مكان مخصّص لأعمال الصرّاف دون أي عمل آخر. ويتوجّب على مؤسسات الصرافة أن تمارس عملها في مكان مستقل ولائق مستأجر منها او ملك لها أو مقدّم لها من أحد الشركاء على سبيل التسامح، أكان في مركزها الرئيسي حصراً أو في أي من فروعها المرخّصة، حيث يخضع لترخيص مسبق من مصرف لبنان فتح فروع لمؤسسات الصرافة، ونقل فرع من مكان إلى آخر. وبالتالي لا يجوز مطلقاً مزاولة عمل الصيرفة من قبل الباعة على الطرقات.

أين يمكن الاطّلاع على لائحة مؤسسات الصرافة المرخّصة؟ وكم يبلغ عددها؟

تضم لائحة مؤسسات الصرافة المنشورة لغاية بداية عام 2022 ما يزيد على ثلاثمئة مؤسسة صرافة مرخّصة.

تُنشر لائحة مؤسسات الصرافة المرخّصة والمسجّلة وفقاً للمادة 5 من قانون تنظيم مهنة الصرافة من قبل مصرف لبنان وتُنشر في الجريدة الرسمية.

ما هي واجبات مؤسسات الصرافة عند تنفيذ اعمالها؟

على مؤسسات الصرافة أن تتقيّد بالتدابير التنظيمية العامة التي يتخذها مصرف لبنان، وبالإجراءات التي يفرضها حمايةً للزبائن المتعاملين معها والتقيّد بالقوانين النافذة والأنظمة الصادرة عن مصرف لبنان وبصورة خاصة تلك المتعلقة بمكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب بما فيه تعريف وتحديد هوية «صاحب الحق الاقتصادي». كما عليها بصورة خاصة أن:

- تقدّم له، بالشروط ووفق النماذج وضمن المهل المحددة منه، المعلومات والبيانات المحاسبية والإحصائية والمستندات المثبتة لتوافر الشروط المتوجبة.
- تمسك سجلاً خاصاً تدوّن فيه يوماً فيوماً العمليات التي تفوق مبلغاً معيناً يحدده مصرف لبنان على أن تورد فيه تاريخ إجراء كل عملية ورقمها المتسلسل واسم الزبون بعد التحقق من هويته وعنوانه. (محدد بـ 10,000 دولار)
- تمسك سجلّات محاسبة وفقاً لأحكام قانون التجارة.
- وضع حسابات سنوية.
- تعيين مدقق حسابات.
- تزويد مصرف لبنان بالبيانات والمعلومات التي يطلبها.
- تزويد المصرف المعني: بإشعار يتضمن معلومات عن أي عملية مصرفية تتم من خلال هذا المصرف لصالح عملائها ولا سيّما ما يفيد أنها مقابل تلقي مؤسسة الصرافة مبالغ نقدية أم لا وعن مصدر هذه المبالغ ووجهتها وهوية المستفيد وصاحب الحق الاقتصادي، وذلك في حال تجاوزت قيمة الشيك أو العملية مبلغ /000 10/ د. أ. أو ما يعادلها. أو بإشعار عن أي تحويل يتم من خلاله إلى أشخاص ثالثين في لبنان ناتج عن عملية صرافة أو شحن أوراق نقدية و/ أو «معادن ثمينة» مهما بلغت قيمة المبلغ المحوّل.

ما هي المنصة الإلكترونية للصرافة؟

أنشأ مصرف لبنان منصة إلكترونية للصرافة، حيث أصبح يتوجب على كل مؤسسة صرافة الاشتراك في المنصة الإلكترونية لعمليات الصرافة المنشأة من مصرف لبنان عبر التسجيل على التطبيق الإلكتروني المسمّى «Sayrafa» العائد لهذه المنصة والمحمّل على اللوحات الإلكترونية (tablets) التي تُسلم، خصيصاً لهذه الغاية، إلى كل مؤسسة صرافة وتشترك المصارف حكماً في هذه المنصة الإلكترونية.

قانون رقم 347 صادر في 6 آب 2001 - قانون تنظيم مهنة الصرافة

النظام التطبيقي لقانون تنظيم مهنة الصرافة: قرار رقم 7933 تاريخ: 2001/09/27

الشارع للصرّافين

■ احمد مدلج

مع كل انخفاض أو ارتفاع لسعر صرف الدولار يسارع كثيرون إلى... نواصي الشوارع! «مكاتب الصرافة» باتت أمام كل باب، وتلاحق الزبائن إلى بيوتهم وداخل سياراتهم. منذ سنتين، بدأت ظاهرة الصرّافين المتجوّلين بالظهور في كل المناطق، فمن هم هؤلاء الصرّافون؟ وما مدى قانونية مزاولة مهنة الصيرفة في الشوارع؟ وكيف يثق الزبائن بمن يزاولون هذه المهنة من دون رخصة؟.

على كل مفترق، وعند كل زاوية، مجموعات من الشبان والكهول يلوّحون للسيارات المارّة برزم من الأوراق النقدية صارخين بكلمتين لا ثالثة لهما: «بتشتري؟ تبيع؟». الصرافة التي تحتاج إلى ترخيص وتحكمها أنظمة وقوانين، باتت في زمن الانهيار مهنة من لا مهنة له. «وظيفتي ما بتطعمي خبز» يقول طارق الذي كان يعمل «سيكيوريتي» في شركة خاصة. ويضيف: «معاشي ما بيتخطى مليون ومئتين ألف ليرة. اليوم بطلّع بين 400 و500 ألف ليرة يومياً وبشتغل سبعة أيام بالأسبوع. الأزمة صعبة كثير وبدك تعرف كيف تمشّي وتربّط حالك».

تأرجح الدولار صعوداً وهبوطاً خلق «مهنة» لطالما عُرف أصحابها بالجلوس وراء واجهات زجاجية وقد عُلّقت خلفهم رخصة مزاولتها. كريم، البالغ من العمر 22 عاماً، صُرف من عمله في شركة «فاليه باركينغ» منذ أكثر من سنة. مذّاك، أمضى معظم وقته متسكعاً في الشوارع وبين المقاهي قبل أن «يهتدي» إلى الصرافة. يقول: «هيك هيك أنا بالشارع وهالشغلة فيها مصاري قلت لحالي ليش لا؟». عرض أحد أصدقائه عليه التجوّل في الشارع كـ«موظف» لدى أحد الصرافين لـ«لمّ» الدولارات. «في هذه الظروف الصعبة ليس عندي حل ثان. لعبة الدولار أفادتني وأمّنت لي وظيفة وراتباً جيداً».

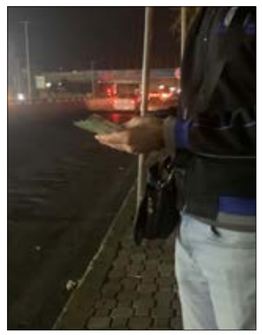

وعن كيفية تفادي الدوريات الأمنية التي تلاحق الصرّافين المتجوّلين، يقول: «عند مرور الدورية نتوارى قليلاً. لا خيار آخر أمامنا».

حدّد القانون مراكز مخصّصة لأعمال الصرافة بعد الحصول على ترخيص من مصرف لبنان. لذلك، فإن كل من يزاول مهنة الصيرفة في الشوارع يخالف قانون تنظيم مهنة الصرافة الرقم 347. ويُعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات، وبغرامة حدّها الأقصى عشرة أمثال الحد الأدنى السنوي للأجر أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من أقدم على مزاولة مهنة الصيرفة دون رخصة (المادة 20 من قانون رقم 347).

غالباً ما تغيب رقابة المؤسسات الإدارية والقضائية على الأعمال غير المرخصة، ومنها الصيرفة في الشوارع، لأنها قد تؤدي إلى تداول العملات المزوّرة المعاقب عليها بموجب المادة 444 من قانون العقوبات اللبناني، ووقوع كثيرين ضحية جريمة تزوير العملة المحلية أو الأجنبية، مع صعوبة التعرّف إلى مرتكب الجرم لعدم اتخاذه مكان عمل محدداً وثابتاً.

لا تقتصر تداعيات أعمال الصيرفة غير الشرعية على مخالفة قانون تنظيم مهنة الصيرفة أو على جريمة التزوير إذا وقعت فحسب، إذ إن مزاولة أعمال الصيرفة غير الشرعية قد تسبب إشكالات ومواجهات بين الصرافين في الشوارع (راجع مقال الأخبار: «فوضى صرّافي الشوارع مستمرة: محاولة قتل صراف في صور» و«صور تتفرّج على صراع القبضايات»).

تحت القوس

رغم كل شيء

■ عمر نشابة

مسلسل انهيار ما تبقى من مؤسسات الدولة مستمرّ. فبالرغم من المساعدات والموارد التي تمكّن بعض المسؤولين في الدولة تأمينها لتغطية حاجات أساسية، ما زالت النواقص كثيرة وما زال اليأس يتمدّد في نفوس موظفي القطاع العام. وقد لامس سعر الدولار الواحد مقابل العملة المحلية 40 ألف ليرة وارتفعت بالتالي أسعار السلع الغذائية والمحروقات والمواد الاستهلاكية بينما بقيت رواتب الموظفين على حالها. لكن هل تصدّقون أن بعض الموظفين والعسكريين ما زالوا يقومون بواجباتهم الوظيفية بجدية وأخلاق بالرغم من انهيار قيمة رواتبهم؟ في الآتي روايتين بدلالات كثيرة:

● في قاعة الانتظار قبيل الدخول إلى اجتماع يتناول المشكلات والتحدّيات المعيشية، قابلت سيدة في العقد السادس من العمر قالت إنها تمثّل وزارة الشؤون الاجتماعية وأخبرتني أن راتبها لا يكفيها لتسديد مصاريف أسرتها الصغيرة وأنها تبحث عن عمل تجني منه راتب بالعملة الأجنبية. بالقرب منها جلست شابة تعمل في احدى المنظمات الدولية. كانت تحمل عدة ملفات بيدها وتستعد لتقديم شرح مستفيض عن برنامج لمكافحة الفقر في لبنان.

لدى انتهاء الاجتماع توجهت إلى الشابة وسألتها عن راتبها بحشرية تخطّت ربما حدود اللياقة. وبعد تردد طويل أعلمتني بقيمة راتبها وتبيّن لي أنه يفوق راتب الموظفة في الشؤون الاجتماعية بأكثر من عشرين مرّة. علماً أن الموظفة الحكومية تعمل في الوزارة منذ نحو خمسة وعشرون عاماً، وقد راكمت خبرة ومعرفة خلال كل هذه السنوات تزيد من أهمية حضورها ومشاركتها ومساهمتها في أي مبادرة أو برنامج لمكافحة الفقر أو لتحسين أوضاع المجتمع. خدمت 25 سنة وراتبها لا يساوي ربع راتب شابة بدأت حياتها المهنية منذ أشهر قليلة في منظمة دولية.

● وصلت متأخراً إلى لقاء مع احدى الهيئات الإنسانية في المصيطبة، فركنت السيارة على أحد جوانب جادة سليم سلام. ولدى عودتي إليها اقترب مني شرطي على درّاجة نارية وطلب مني فتح الشباك وقال بتهذيب: "مرحبا أستاذ، إنّ ركن السيارة في هذا المكان مخالف للقانون. لكن لن أعطيك "ظبط" هذه المرة لأنه بيوجّع". نظرت إليه مبتسماً مستغرباً حرصه على عدم إيلام الآخرين فأضاف: "الظبط بميتين ألف ليرة يا أستاذ. انتبه." تابع الشرطي سبيله وبقيت شارداً لبعض الوقت. مئتي ألف ليرة "بتوجّع"، طبعاً "بتوجّع" لن لا يزيد راتبه عن مليون ونص ليرة. فهل عفى الشرطي عني واكتفى بالإنذار لأن سيارتي متواضعة؟ أم أنه تعامل معي وكأنه يتعامل مع نفسه؟

في ظل انهيار قيمة راتبها، لم تتلكأ الموظفة في وزارة الشؤون الاجتماعية عن القيام بواجبها الوظيفي. شاركت في اجتماع العمل ومثّلت الوزارة خير تمثيل. وكذلك شرطي السير الذي تنبّه لمن خالف القانون وأبلغه الإنذار. بينما كان يمكن للموظفة أن تغيب أو أن تحضر الاجتماع متأخرة عن موعده وأن تبقى صامتة وتتصرف كأن الأمر لا يعنيها بحجة تدني قيمة راتبها. كما كان يمكن للشرطي ألّا يبالي مخالفة قانون السير أو أن يعطي "ظبط" ويعلّقه على واجهة السيارة ويمشي.

لكن أكثر ما استوقفني هو إشارة الشرطي لما "بوجّع" والسعي لتجنّبه. وكأنه يخاطب نفسه ويعطي لنفسه فرصة ثانية ربما تتحسّن الأحوال. فخيار شلح البدلة العسكرية والبحث عن وظيفة أخرى بعد سنوات من العمل "بوجّع". وبالرغم من كل شيء قد يكون التمسّك بخيط أمل لمستقبل أفضل هو السبيل الوحيد لمن هم أكبر الخاسرين من الانهيار الشامل.

(انجل بوليغان ـ المكسيك)

في الواجهة

هل يمكن أن تكون الوساطة بديلاً من القضاء؟

هل تنفع الوساطة في حل كل النزاعات، المدنية منها والجزائية؟ وهل تقوم على مبدأ تنازل المتخاصمين عن حقوقهم، أم أنها سبيل لتحقيق التوافق بين الأفراد وتحقيق الاستقرار الاجتماعي؟

■ فاطمة خشّاب درويش

في لحظة قاتمة، خرجت رصاصة طائشة من بندقية صيد تسبّبت بمقتل شاب في العشرين من عمره. لم تكن جريمة مكتملة العناصر، فالقاتل قريب للمجنيّ عليه وصديقه منذ الطفولة. وقعت الجريمة ذات صباح، من دون نيّة جرمية معقودة. في مشهد آخر، تسبّبت الأزمة الاقتصادية التي يواجهها لبنان منذ عام 2019 في خلافات حادّة بين أحمد وحسان، الصديقين اللذين أسّسا قبيل الأزمة شركة تجارية للاستيراد والتصدير. ساهم أحمد، وهو مغترب في إحدى الدول الأوروبية، في تمويل الشركة، فيما تولى حسان إدارتها في لبنان. مع تفاقم الأزمة الاقتصادية، أدّت المشاكل المالية في الشركة إلى اضطراب العلاقة بين الشريكين، وتصاعد التوتر بينهما، حتى قرّرا، منتصف عام 2022، وقف عمل الشركة، ولكن من دون إجراءات قانونية لتصفيتها. مذّاك، فُقد التواصل بينهما، ويحمّل كل منهما الآخر مسؤولية الفشل.

أكثر من مرة حاولت نور تثبيت طلاقها في المحاكم الشرعية، بعد ثلاث سنوات على وقوعه، لكنها لم تفلح في انتزاع توقيع طليقها الذي يساومها تارة على مهرها، وتارة أخرى على التنازل عن طفليها وحرمانها من حق الرؤية.

كثيرة هي النزاعات التي تحتاج إلى حل في لبنان. وتتكدّس الملفات أمام القضاء اللبناني في ظل اعتكاف القضاة عن العمل. أمام هذا الواقع المازوم، يختار عدد كبير من المتخاصمين تجميد خلافاتهم في انتظار عودة الحياة إلى قصور العدل، فيما ينحو آخرون إلى أن الحق لا يُنال إلا بالبدء ولا يمكن التعويل على حقوق تؤخذ على مضض بعد سنوات من المحاكمات.

وبين هذا وذاك، تبرز الوساطة كوسيلة بديلة لحلّ النزاعات، تستند فيها الأطراف المتنازعة إلى طرف ثالث محايد (الوسيط) يتولّى التواصل والتفاوض لحلّ النزاع.

رئيسة لجنة الوساطة في نقابة المحامين رئيسة مؤسّسة المركز اللبناني للوساطة والتوفيق (LAMAC) المحامية منى حنا تعرّف الوساطة بأنها «طريقة سلمية حبّية لحل الخلافات، تعطي الحق لأطراف نزاع حالي أو مستقبلي بالاتفاق على تعيين وسيط - حيادي، مستقل ومتخصص - يساعدهم على التوصل إلى حل يضعونه بأنفسهم ويكرسونه بموجب عقد يراعي القوانين الإلزامية والنظام العام. والوساطة تقنية سرية، سريعة، تحافظ على استمرارية العلاقات مستقبلاً، كما أن اللجوء إليها هو فعل إرادي بحت». وتلفت إلى أن «أهمية الوساطة تزداد اليوم في ظل الظروف الصعبة التي نعيشها، ومع الكم الهائل من القضايا العالقة أمام القضاء، تعطي الوساطة فرصة للمتخاصمين لحل مشاكلهم ونزاعاتهم في أقل وقت ممكن».

الوساطة في القانون اللبناني

يوجد في لبنان إطاران تشريعيان يحكمان موضوع الوساطة: قانون الوساطة القضائية الذي صدر في 10 تشرين الأول 2018، وهو يدعو إلى حل النزاعات سلمياً بين الفرقاء، ويقدم للمتخاصمين حلولاً بديلة لفضّ النزاعات، علماً أن الوساطة القضائية هي تلك التي يتم اللجوء إليها لحل نزاع ما بعد إحالته إلى المحكمة، إضافة إلى التحكيم المنصوص عنه في قانون أصول المحاكمات المدنية.

تتم الوساطة القضائية في أي مرحلة من مراحل الدعوى، ويمكن إجراؤها في كل أنواع النزاعات التي يجوز الصلح فيها، بما لا يتعارض مع مقتضيات النظام العام وأحكام القوانين النافذة، بمعنى أن القانون

> **يمنح المجلس المركزي لمصرف لبنان الترخيص بتاسيس مؤسسة صرافة بقدر ما يرى انه يخدم المصلحة العامة المقدَّرة**

الرقم (82) اقتصر على الوساطة التي تقررها المحاكم بعد إحالة النزاعات أمامها، ولم يرع حالة اتفاق الفرقاء السابق لأي نزاع أمام القضاء باللجوء إلى الوساطة، في ما يعرف عالمياً بالوساطة الاتفاقية أو التعاقدية.

وفي عام 2022 صدر قانون «الوساطة الاتفاقية»، استكمالاً للتشريع الأول وأتاح لكل متخاصمين في مختلف المجالات فرصة اللجوء إلى الوساطة لحل نزاعاتهما بعيداً عن مماطلة المحاكم وهدر الوقت، وحدد أصول الوساطة وكل التفاصيل المتعلّقة بمراحلها والياتٍ تنفيذها ودور الوسيط ومهماته الأساسية.

من هو الوسيط؟

الوسيط هو كل شخص يتولى عملية الوساطة بين أطراف النزاع، ويشترط أن يرافق الفرقاء من أجل التوصل إلى نتيجة تتلاءم مع مصالحهم وحاجاتهم، ضمن مهلة محددة بإرادة الفرقاء بموجب العقد أو الاتفاق، أو عند بدء الوساطة. يتم اختيار الوسيط من ضمن لائحة الوسطاء في وزارة العدل أو من خلال مركز الوساطة المعتمد من الوزارة.

يسهّل الوسيط التواصل بين الفرقاء ليساعدهم من خلال تقنيات الوساطة على إيجاد الحل الأنسب لجميع الفرقاء، كما يؤمّن انخراط ومشاركة الفرقاء المنصفة والفعّالة، ويلتزم بأن يكون على مسافة واحدة من الجميع، وهو يستمع إلى كل فريق على حدة بعد أخذ موافقة جميع الفرقاء، في حال رأى ذلك مناسباً. كما يجوز له على الدوام أن يستمع إلى الفرقاء في جلسة مشتركة. ويضمن الوسيط المحافظة على نظام عملية الوساطة، وعلى سرية المعلومات والمستندات التي تقع تحت علمه. ومع انتهاء أعمال الوساطة يوقّع الفرقاء وحدهم (من دون الوسيط) على الاتفاقيات والعقود التي ساهم الوسيط في الوصول إليها.

(انجل بوليغان ـ المكسيك)

تجربة وسيط

يتحدث الخبير المحلّف في المحاسبة ماهر حنا عن تجربته كوسيط ومدرب وساطة مؤكداً «أهمية الوساطة كتقنية سريعة لحل النزاعات بين المتخاصمين، والحل يكون نابعاً منهم ومن ضمن المقترحات التي يتقدمون بها خلال جلسات الوساطة، فالحلول لا تُفرض على المتخاصمين كما هو حال القرارات القضائية التي تتطلب وقتاً طويلاً لإصدارها». ويتابع: «خلال جلسات الوساطة يتبادل المتخاصمان الوقائع ويعرضان وجهات نظرهما حول الموضوع المختلف عليه، تتضح وجهات النظر وتتكوّن صورة كاملة حول الوقائع، ويتضح تأثير المواقف في الخصم وفي مشاعره وحياته، وتساعد الوساطة على تعزيز مبدأ الاحترام بين المتخاصمين».

ويشير حنا إلى أن «الوسيط يخضع لدورات تدريبية مستمرة من أجل التمكن من المهارات المطلوبة للقيام بأعمال الوساطة، ويشترط خضوعه قبل المباشرة بعمله لعدد محدد من الساعات يحصل بموجبها على شهادة وسيط معتمد».

اتفاقية الوساطة والتكاليف

يتفق الأطراف المتنازعون على اللجوء إلى الوساطة من خلال بند تعاقدي يُدرج في العقد أو في عقد مستقل، ويتم من خلاله اختيار اسم وسيط متخصص أو مركز للوساطة يسمي بدوره وسيطاً مدرجاً على لائحة الوسطاء المسجلين لديه (المادة 3 من قانون الوساطة الاتفاقية).

يحدد المتخاصمون في اتفاقية الوساطة مدة الوساطة وعدد الجلسات التقريبية لها، وتُعقد هذه الجلسات في مكان محايد، قد يكون في مقر مركز الوساطة أو في مكتب الوسيط. ويُحدد بدل الأتعاب الذي سيدفعه الأفرقاء للوسيط عن كل جلسة.

وبحسب المعلومات، فإن كلفة جلسة الوساطة للنزاعات العائلية تُراوح بين 100 و150 دولاراً، أما في القضايا التجارية فيدل الأتعاب مرتبط بحيثية النزاع التجاري وطبيعته، مع الإشارة إلى أن «الفرقاء يوقّعون وحدهم دون الوسيط، على كل الاتفاقيات والعقود التي يساهم الوسيط في الوصول إليها، وللفرقاء أن يُكسبوا تلك الاتفاقيات والعقود الصفة الرسمية من خلال تسجيلها وتوثيقها لدى الكاتب العدل» (المادة 12 من قانون الوساطة الاتفاقية).

ما هي المواضيع التي يمكن ان تخضع للوساطة؟

بحسب المادة 2 من قانون الوساطة الاتفاقية، فإن نطاق تطبيق الوساطة يطاول «المجالات التجارية، والمدنية والعائلية والاقتصادية والتربوية والطبية، وعموماً أي نزاع يتفق الأطراف على حلّه عن طريق الوساطة فيما يتعلق بالحقوق التي يجوز فيها الصلح ولا تتعلق بالنظام العام».

«لا يوجد موضوع لا يمكن أن يخضع للوساطة، فكل الأمور قابلة للحل طالما هناك إرادة عند المتخاصمين، حتى في الدعاوى الجنائية يمكن الاحتكام إلى الوساطة لإسقاط الحق الشخصي بين المتخاصمين»، تؤكد المحامية نجاة شكر التي أعدّت دراسة حول الوساطة الجنائية تحت إشراف المركز اللبناني للوساطة والتحكيم، وتقول: «لا يوجد أي مانع قانوني من احتكام المتخاصمين إلى الوساطة حتى في القضايا الجزائية، وذلك في الشق الشخصي أي الحق الشخصي وليس العام، فجلوس أهل الضحية مع أهل القاتل في حال القتل الخطأ، يساعد في حقن الدماء بين الطرفين، وتنحصر حينها المحاكمة على الحق العام في الدعوى، والوساطة جداً مهمة في دعاوى القتل والثأر خاصة في المجتمعات العشائرية التي يمارس فيها كبار القوم دور الوساطة منذ زمن».

وتضيف: «هناك عدد من القضايا الجزائية لا يتحرك فيها الحق العام إلا بتحريك الحق الشخصي، كقضايا الشيك دون رصيد مثلاً. إذا استطعنا تحصيل الاتفاق بين المتخاصمين من خلال الوساطة في هذه الحالة، نكون قد ساهمنا بالتخفيف من اكتظاظ السجون وفي الحد من أعداد الدعاوى الجزائية، لذلك اقترح وجود غرف للوساطة في السجون لتوسيع دائرة المعرفة بالوساطة والعمل عليها».

لجنة الوساطة في نقابة المحامين

تعمل لجنة الوساطة في نقابة المحامين على تعميم أهمية الوساطة بين المحامين من خلال تزويدهم بتقنيات ومهارات تخوّلهم فهم الوساطة والتعرف إلى تقنياتها ومهارات التفاوض، كما تعمل اللجنة على تفعيل حل الخلافات بالطرق السلمية، وتحفّز المحامي على الانخراط في عملية الوساطة سواء من خلال كونه وسيطاً أم مستشاراً قانونياً لأحد المتخاصمين.

يمكن القول إن إقرار القوانين التي ترعى مبدأ الوساطة يشكل خرقاً إيجابياً في مجال تنظيم السبل البديلة لحل النزاعات القضائية، فهو يخفف الضغط عن المحاكم، ويساهم في تحقيق فائدة اجتماعية من خلال التخفيف من النزاعات بين الأفراد وضمان استقرار العلاقات المستقبلية بين الأطراف المتنازعة، الأمر الذي ينعكس على الأمن المجتمعي بشكل عام. فعندما يجلس المتخاصمون جنباً إلى جنب على طاولة واحدة، تتيح الوساطة لهم فرصة الاستماع بعضهم إلى بعض، وتسمح لكل طرف أن يتعرّف إلى هواجس الطرف الآخر، فيتحوّل المستحيل إلى حلول ممكنة التحقّق، تراعي حاجات وتطلعات كل الأطراف...

فهل يتبنّى السياسيون مبدأ الوساطة في هذه المرحلة الحرجة لإنقاذ لبنان وما تبقّى من مؤسّسات على صعيد الوطن...؟

الجريمة المعلوماتية

كيف تحضن الحواسيب من خطر التعرّض لهجمات سيبرانية؟ وماذا عن حواسيب القضاة الخاصّة التي يستخدمونها لصياغة الاحكام والقرارات في ظلّ ضعف المكننة؟ فلا شكّ ان عمليّات القرصنة والسرقة والتلاعب الاحتيالي بمضمون الملفّات الإلكترونية تستهدف حواسيب نافذين وسياسيين وموظفين في الدولة. وقد تشمل حواسيب القضاة والمحقّقين والمساعدين القضائيين. نسعى في هذا التقرير إلى عرض الحد الادنى لكيفية حماية الحواسيب

■ ياسر الموسوي

يستطيع أي شخص يمتلك حدّاً أدنى من الخبرة في مجال المعلوماتية والقرصنة أن يدخل إلى ملفّات قضائية من المفترض أن تكون محميّة ومحفوظة بشكل آمن، وذلك عبر خطوات سهلة إلى حدّ ما، إضافة إلى إمكانية الدخول إلى ملفّات يمكن أن تكون أحكاماً قضائيّة وتعديلها لأهداف جرميّة (تغيير تفاصيل صغيرة وعبارات داخل نصّ مؤلّف من عدّة صفحات على سبيل المثال). ويمكن أن يسبّب ذلك كارثة في أروقة قصور العدل بحيث تنقلب الحقائق ويغدو المجرم بريئاً أو العكس. وتكمن الخطورة أيضاً، في كثير من الأحيان، في ملفّات تتعلّق بقضايا عملاء العدو الإسرائيلي وفي إمكانية سرقة ملفّات التحقيق والأحكام بحقّهم وتحريفها لتبرئتهم وإبعادهم عن المثول أمام قوس العدالة.

تعاني المؤسّسات والإدارات والهيئات الرسمية في لبنان من ضعف في مجال المكننة وتأمين البنية التحتيّة السليمة لحماية المعلومات وحفظ البيانات بشكل آمن بعيداً من أعين المجرمين. وتشكّل المؤسّسات القضائيّة جزءاً مهماً من عملية بناء الدّول والمجتمعات وحفظ الأمن والسهر على سير العدالة وإنفاذ القوانين. لذلك يفترض العمل على تعزيز حماية وتحصين القضاء في كلّ المجالات لا سيّما على الصعيد الإلكتروني.

لأجل «قضاء أكثر أمناً»

تلجأ المؤسّسات الحكومية والأمنيّة والقضائيّة عادةً إلى اعتماد أنظمة حماية متكاملة لضمان أمن الشبكات والأجهزة في مواجهة أي خرق محتمل، وتشمل هذه الأنظمة تفاصيل كلّ مؤسّسة من الأفراد والأجهزة وأماكن العمل.

وتلعب الحكومة وفرق أو منظّمات حكومية مثل Cybersecurity Empowerment Research Team (فريق البحث وتطوير أمن المعلومات) دوراً رئيسياً في حماية البنية التحتيّة للمعلومات الحيوية وأنظمة المعلومات المهمّة. إذ يفترض لكل دولة تربط أنظمتها الحيوية بالإنترنت، أن تكون قادرة على التخفيف بشكل فعّال من حدّة التهديدات الأمنية، والاستجابة للحوادث، وإيجاد الحلول المناسبة لها، ومنعها بشكل فعّال. وتعمل هذه الفرق أيضاً كمصدر للمعلومات الأمنية وتساعد هيئات الدولة والإدارات والمؤسّسات والمواطنين. كما تلعب دوراً رئيسياً في تعليم أمن الإنترنت.

ونظراً إلى غياب المكننة أو ضعف بنيتها التحتيّة في المؤسّسات الرسميّة اللبنانية، لا بدّ من التطرّق إلى بعض الإجراءات الفرديّة التي يستطيع الشخص تفعيلها بسهولة. من بين هذه الإجراءات التي يمكن أن يتّبعها القاضي على المستوى الفردي لحماية حاسوبه من أي تدخّل:

1. رقمنة المستندات والملفّات الخاصّة، بالنسبة لغالبية العاملين في السلك القضائي (قضاة، محقّقون...)، تصبح المستندات الورقية خطراً أمنياً أكبر من المستندات الرقمية. قد يفقد أحد القضاة على سبيل المثال نسخة ورقية من المستند، أو يمكن لشخص ما حمله خارج مكان العمل من دون علم أي شخص. لذلك يجب حفظ البيانات والمستندات والأرشيفات داخل حواسيب محميّة بأنظمة أمان (برامج Firewall وAntivirus).

2. يعدّ استخدام الحماية بكلمة مرور للملفّات المهمّة إجراء ضرورياً. في حال كان القضاة يستخدمون أجهزة الكمبيوتر المحمولة أو الهواتف الذكية للعمل على مستندات حساسة، فيمكن لشخص ما أخذ الجهاز. من دون حماية كلمة المرور على الأجهزة أو الملفّات الموجودة على الجهاز المحمول، يمكن للشخص الذي يستولي على الجهاز والوصول إلى الملفّات الحسّاسة. عند العمل مع أنواع معيّنة من البرامج الشائعة الاستخدام لإنشاء المستندات والنّصوص كبرامج Microsoft Office، فإنّ إضافة كلمة مرور لتأمين المستندات عملية سهلة.

3. حفظ الملفّات والنّصوص المكتوبة بصيغة Word أو Adobe Acrobat PDF Documents بنظام تشفير وبكلمة سرّ غير تقليدية بالإضافة إلى إجراء تقييد تعديل النّص.

Word: Info/Protect Document/Encrypt with Password/) (Restrict Editing

PDF: Tools/Protect/More Options/Encrypt with Password/) (Encrypt with Certificate/Read-Only Settings

4. عدم السّماح لأي شخص آخر باستخدام الكمبيوتر الشخصي (زملاء، أفراد أسرة...) وتجنّب حفظ المعلومات والملفّات الشخصيّة على حاسوب Desktop مشترك.

5. تفعيل إجراءات النسخ الآمن Backup لأي ملفّ أو مستند (أحكام قضائيّة، قرارات، دراسات...)، يتضمن جزء من عملية تأمين المستندات وجود سياسة نسخ احتياطي مطبّقة للمستندات والنسخ الأصليّة على Drive أو Dropbox. إذا كان لدى أحد القضاة النسخة الوحيدة من مستند مهم على محرّك الأقراص الثابتة للكمبيوتر المحمول، قد تختفي أو تتلف النسخة الوحيدة في حال تعرّض الحاسوب للسرقة أو توقّف عن العمل.

أحد أفضل الطرق لضمان النسخ الاحتياطي Backup المستمرّ للملفّات بشكل آمن هو استخدام التخزين السحابي Cloud Storage. مع وجود الإعدادات الصحيحة في مكانها الصحيح، سترسل أجهزة الكمبيوتر المحلية تلقائياً وبشكل مستمر نسخاً معدلة من الملفّات إلى السحابة Cloud، مما يضمن وجود النسخ الاحتياطية دائماً، حتى في حالة تلف النسخة المخزّنة محلياً. غالباً ما يمنح موفرو التخزين السحابي المشتركين خيار تشفير جميع البيانات التي يخزنونها في السحابة، مما يوفّر مستوى آخر من الأمان للمستندات وللمؤسّسة.

وفي حال تخزين البيانات على خادم محلي Local Server، فإن البرنامج الذي يقوم بإنشاء نسخ احتياطية تلقائية للملفّات الموجودة على الخادم في السحابة يعدّ خياراً آخر لتأمين المستندات.

سواء كان استخدام التخزين السحابي أو برنامج النسخ الاحتياطي للخادم لإنشاء نسخ احتياطية من مستندات الفريق يتطلّب اشتراكاً، مما يؤدي إلى تكلفة إضافية للمؤسّسة. إلا أن اتخاذ هذه الخطوة مهم لتجنب فقدان المستندات بشكل عرضي بسبب كارثة على المستوى المحلي.

6. في حال استخدام أقراص «الفلاش ميموري» USB (والتي تكون عادةً هدفاً للقراصنة والمتصيّدين الإلكترونيين) لحفظ الملفّات يجب هنا تنظيف القرص من الفيروسات (Scan) وتشفير الفلاش بكلمة مرور باستخدام أدوات كـ BitLocker في أنظمة Windows التي تتيح حماية القرص بكلمة سرّ ويجب حفظها في مكان آمن.

7. تفعيل برمجيات الحماية كـ "Bitdefender" و"Kaspersky" والتي تتضمّن تعليمات وأنظمة حماية في ما يتعلّق بأمن المستندات والملفّات. على سبيل المثال يقوم برنامج Kaspersky Endpoint Security بإجراءات البحث عن البرمجيّات الخبيثة كالفيروسات التي قد تؤدّي عادةً إلى إتلاف الملفّات أو سرقتها.

8. حماية البريد الإلكتروني Email بإجراءات أمان عالية مثل كلمات مرور صعبة وتفادي إرسال مستندات حسّاسة عبر الإيميل نظراً لإمكانية تعرّضها للسرقة.

نشاط وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى

لا تطابق بين الاقوال والافعال

قال الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيرش إنّ نهج المجتمع الدولي تجاه الـ"أونروا" يشوبه منذ فترة طويلة انعدام التطابق بين الأقوال والأفعال. ولفت غوتيرش في بيان له صدر الشهر الفائت إلى أنّ الـ"أونروا" تعد شبكة أمان للفئات الأشد عرضة للمخاطر، ومصدراً للاستقرار في المنطقة، وشريان حياة للأمل والفرص للملايين. ومع ذلك، لا زالت الأونروا عالقة في مأزق مالي. ودعا غوتيرش الدول للتوفيق بين التأييد لولاية "أونروا" وبين تمويل أكثر استدامة يمكن التنبؤ به من أجل عمليات الوكالة، داعياً الدول للوقوف مع "أونروا" لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين. كما أشار إلى أنّ الـ"أونروا" هي الوكالة الأممية المكلفة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقديم الخدمات الأساسية، التي تشمل التعليم والرعاية الصحية الأولية للاجئي فلسطين في انتظار التوصل إلى حل عادل ودائم لمحنتهم، وعلى الرغم من الدعم السياسي الطويل الأمد والوافر من المجتمع الدولي، لا تزال الـ"أونروا" تواجه نقصاً حاداً في التمويل، وبالإضافة إلى أكثر من 700 مدرسة و144 مرفقاً للرعاية الصحية في المنطقة، تقدم "أونروا" المعونات النقدية والغذائية والسكن والمياه والصرف الصحي.

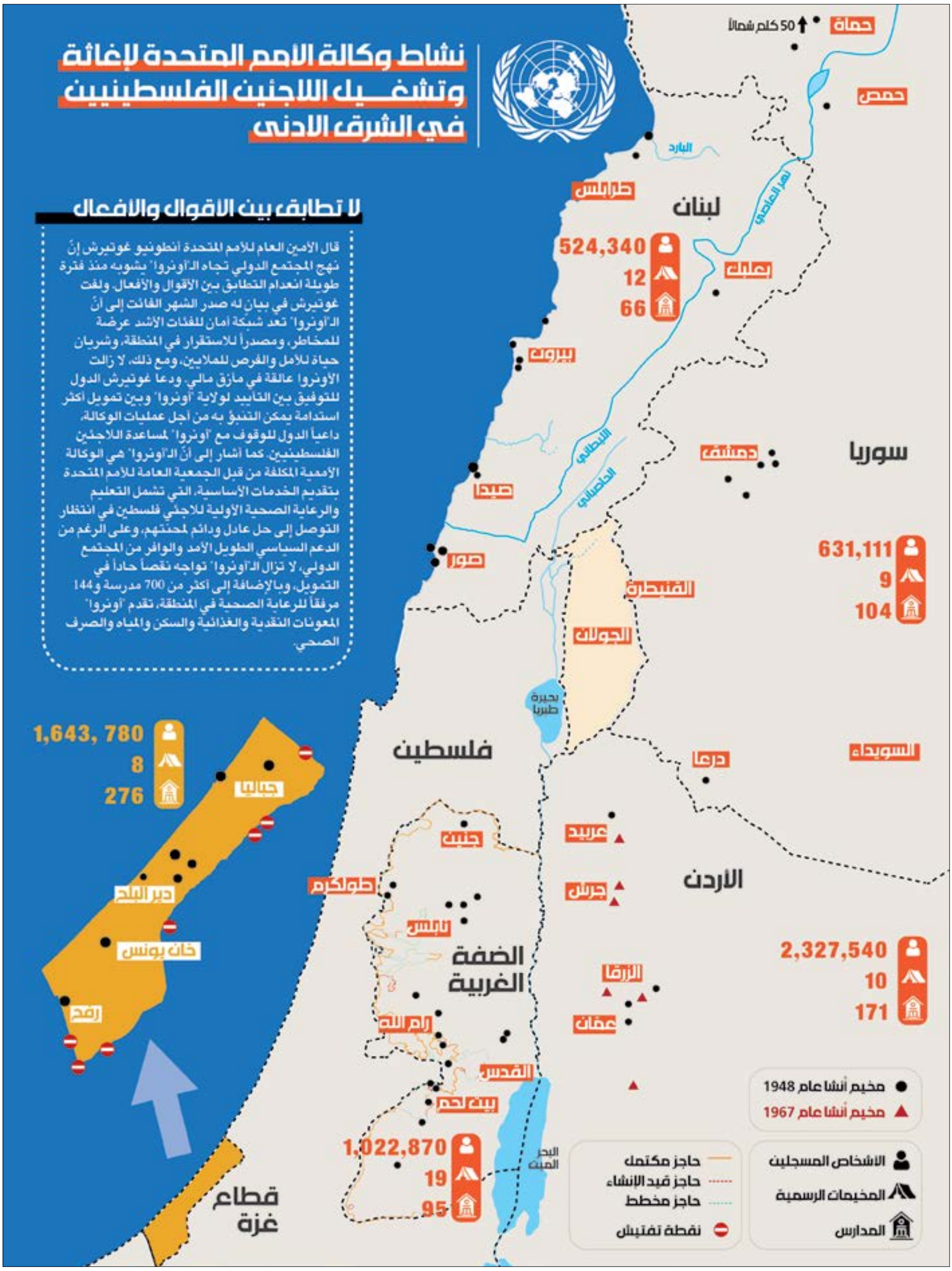

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous alqaous_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com